Nahas Publishing House

سلسلة كتاب الجيب

وداعاً للخوف

A - 108

١٠٨ - أ

www.rewity.com/vb

بلا عنوان

باربرا كارتلاند

الفصل الأول

١٨٧٤

شعرت أوديلا بالتوتر والانفعال عندما دخلت العربة إلى داخل ساحة غروسفنور.

كانت تفكر بوالدها طوال المسافة التي قطعتها من فلورنسا إلى منزلها وهي بأشد الشوق واللهفة للقائه من جديد.

ولكن بالرغم من ذلك وبالرغم من محاولاتها المتكررة في أن تبعد هذه الفكرة عن رأسها، شعرت بالقلق وبأنها ستصادف شراً بعد هذه العودة.

كان قد اطلعها سابقاً وبنوع من الاحراج، بأنه عازم على الزواج من الأرملة السيدة داين بامكان أوديلا أن تذكر بوضوح تام خوفها وقلقها عندما عرفت بعزم والدها.

لقد سبق لها والتقت بالسيدة داين.

وسرحت بافكارها بازدراء إلى الماضي القريب وكم كانت تتدلل وتتملق إلى والدها بشكل مبالغ فيه. فأوديلا تحب والدها وتفهم تماماً كم أنه يشتاق ويحن إلى والدتها التي غيبها الزمن.

لذا، رفضت بأدب الاعتراض على عزمه هذا. وتولت

إيسما داين شؤون إدارة المنزل حتى قبل الزواج الذي تم بصورة هادئة دون ضوضاء.

أما من ناحية أوديلا وبالرغم من توجسها من هذا الزواج، كانت تقر وتعترف بينها وبين نفسها بأن زوجة والدها جذابة وتجيد الكلام بطريقة لبقة وحنونة لأي شخص قد تصادفه.

بالمختصر المفيد، كان كل ما تقوم به أو تقوله في أي مكان تتواجد فيه، يصعب وصفه بكلمة إعجاب واحدة.

وفوق كل ذلك، كانت لا تكلم زوجها دون أن تمتدحه وتجامله على ذكائه ومقدرته العقلية، أو على تطلعاته، ومركزه الإجتماعي بجميع الاتجاهات. في البداية، وبخت أوديلا نفسها لميولها الانتقادية لزوجة والدها، لكنها فهمت بعد ذلك انها تبالغ بانتقادها الزائف هذا، والذي لا علاقة له البتة بمشاعر زوجة والدها الحقيقة.

وبطريقة أو بأخرى، أوديلا لم تندهش عندما بدأت الكونتيسة تقول لزوجها مباشرة بعد الزواج: «ان أوديلا شديدة الذكاء يا عزيزي مثلك تماماً، وعلينا أن نأخذ الحذر كي لا نضيع مثل هذا الذكاء سدى.»

وكانت تقول لأوديلا: «من غير الضروري أبداً أن تكوني في آن واحد جميلة وذكية، لذا عليك أن لا تجهدي نفسك كي لا تضيعي ذلك الجمال في عينيك!»

لكن أوديلا اكتشفت بعد ذلك بأن هذه الملاحظات لم تكن سوى كلمات عابرة لا تقدم ولا تؤخر.

قررت زوجة والدها مرة بأن على أوديلا السفر إلى خارج البلاد لتكمل تحصيلها الثانوي، مع العلم أن هناك

ثلاث مدارس من هذا النوع في بريطانيا، لكن الكونتيسة اعتقدت بأنها ليست مؤهلة بما فيه الكفاية.

وكانت قد قالت لزوجها الإيرل: «لقد سمعت من عدة اشخاص يمكن الوثوق بكلامهم، بأن مثل هذه المدارس للتعليم الثانوي العالي للآنسات موجودة في فلورنسا التي تشتهر بنباهة وقدرة أساتذتها.»

توقفت قليلاً لبرهة تفكر ثم تابعت: «ان الارستقراطيين من كافة البلدان يرسلون بناتهم إلى هناك، وهل هناك من شيء أفضل للعزيزة الصغيرة أوديلا من أن تتكلم اللغة الفرنسية والايطالية بطلاقة؟»

لم تعارض أوديلا هذا الأمر لأنها كانت تدرك بأنها ستخوض معركة خاسرة.

اما الذي لم تقوَ أوديلا على احتماله، هي التغييرات العديدة التي أحدثتها زوجة والدها في المنزلين اللذين كانا بهجة ومفخرة والدتها.

ومن حسن الحظ، لاحظت أوديلا أن الكونتيسة لا تعبأ ولا تكترث بشالفورد هول المنزل الريفي.

ففي منزل لندن، صرفوا الخدم القدامى ليحل مكانهم خدم جدد.

إن أوديلا وكما سبق وقلنا، فتاة شديدة الذكاء، فقد أدركت أنه من الغباء والقساوة تجاه والدها في أن تتشاجر مع زوجته مباشرة بعد زواجه منها.

إنه من الواضح بل من المؤكد مغرم بزوجته الشابة الجميلة، لذا فهو غير مستعد في أن يسمع أي شيء قد يقال ضدها.

ثم جاءت اللحظة التي توجهت بها الكونتيسة إلى أوديلا

بنبرة واضحة وكلمات مباشرة: «أحمل اليك يا أوديلا أخباراً جديدة وأنا متأكدة بأنها ستسرك وتفرحك. تعلمين أيتها العزيزة الصغيرة بأنني لا اتمنى سوى سعادتك، وهناءك، كما انني أرجو أيضاً بل وأتمنى في أن تصبحي في المستقبل صاحبه مهنة مكللة بالنجاح.»

توقفت قليلاً عن الكلام كأنها تنتظر تعليقاً من أوديلا التي بقيت صامتة وكأن على رأسها الطير، لكن زوجة والدها تابعت: «إن والدك الرائع الذي يفكر دائماً بالآخرين ويهمل نفسه، وافق على سفرك إلى فلورنسا لمدة سنة كاملة!»

ثم اطلقت ضحكة خفيفة شبيهة بقرع الجرس على حد وصف المعجبين بها وتابعت تقول: «أعرف جيداً انك هناك ستتعلمين أن تكوني ماهرة وبارعة مثل والدك، كما انك ستحصلين أيضاً على كل الامتيازات التي تحمل بها كل امرأة لكي تتألق في مجتمع بريطانيا.»

تنهدت أوديلا بعمق وسألتها بإذعان: «متى تريدين مني مغادرة والدي؟»

أسرعت تجيب زوجة والدها دون أن تستشيره في هذا الأمر: «في الحال! وستعودين في مثل هذا الوقت من العام المقبل لتفتني مجتمع لندن بأكمله بالثقافة العريقة التي حصلت عليها!»

ضحكت زوجة والدها مرة ثانية قبل أن تتابع: «يا لك من فتاة محظوظة لا بل محظوظة جداً! وبالطبع إنه واجب أقوم به تجاه والدك الذي أعرف جيداً بأنه سيفتقدك كثيراً طوال فترة غيابك عنه.»

وجدت وقتها أوديلا نفسها بأنها مجبرة على التوجه

إليها بكلمات الامتنان لهذه الفرصة التي أوجدتها لها، وفي الوقت نفسه كانت تدرك جيداً بأن لزوجة والدها طرقها الخاصة لتصل إلى ما تريد وتصبو إليه.

تذكرت أوديلا كيف أنها أصيبت بصدمة عنيفة عندما تركت زوجة والدها وصعدت إلى الطابق العلوي للمنزل، فقد علمت بأن مربيتها التي حضنتها منذ ولادتها، أبلغت بأنه استغني عن خدماتها في هذا المنزل، فأسرعت أوديلا لتحتضن مربيتها قائلة: «لا يمكنك الرحيل يا مربيتي العزيزة، كما إنني لا أستطيع أن أخسرك! كانت أمي تقول دائماً بانك ستبقين معنا دائماً!»

أجابتها مربيتها: «أمك، قالت الشيء نفسه لي ايضاً، لكن زوجة والدك لها رأيها الخاص في هذا الموضوع.»

صرخت أوديلا باكية: «سأكلم والدي في هذا الشأن! لا يسعني أن أدعك ترحلين هكذا!»

أجابت المربية: «لا نفع من ذلك يا عزيزتي، لقد أصدرت زوجة والدك هذا الأمر ولا مفر من ذلك، كما أنها تريد أن تصرف باقي الخدم اليوم ليأتي الخدم الجدد الذين تريدهم!»

«لكن كيف سأتدبر أموري من دونك؟» سألتها أوديلا بيأس والدموع تتساقط على خديها.

فقالت المربية: «ستتغيبين لمدة سنة كاملة، وربما متى عدت تسمح لي زوجة والدك بالعودة إلى هنا لأقوم برعايتك.»

سألتها أوديلا عند ذلك وقد شعرت ببصيص من الأمل: «آه يا مربيتي، أتظنين انها ستفعل ذلك؟» لكنها ومع إنها

طرحت هذا السؤال، شعرت بأنه أمر مستبعد، لأن الكونتيسة زوجة والدها ترافقها خادمة فرنسية والتي تعرف جيداً كل صغيرة وكبيرة من أعمال التدبير المنزلي.

كانت أوديلا متأكدة جيداً بأن زوجة والدها شعرت من أن مربيتها لا تحبها، وبأنه متى خرجت من المنزل لن تعود إليه اطلاقاً.

ثم أخذت تبكي بحرقة وحرارة عندما ودعت مربيتها، وأخذت ترسل إليها رسالة كل أسبوع من فلورنسا تشرح لها ما لم تستطع شرحه لوالدها عن معاناتها والصعوبات التي تواجهها في مدرسة غريبة في بلد غريب عنها.

إنها تدرك أن مربيتها ستتفهم وضعها وانها سوف تقرأ رسائلها بلهفة ومحبة، والآن وفي عودتها إلى ساحة غروسفنور، تعتقد لا بل تؤكد بأن الأمور ستكون أفضل مما هي عليه لو انها تجد مربيتها في انتظارها.

وعندما توقفت العربة أمام منزل شلفورد، رأت رجلين غريبين عنها يفرشان السجاد الأحمر لاستقبالها.

كما وجدت حاجباً غير مألوف لديها يقف عند الباب الذي توجّه إليها قائلاً باحترام عندما دخلت: «أهلاً وسهلاً بك في منزلك يا سيدتي! إن السيدة في غرفة الجلوس!»

تساءلت أوديلا مستوضحة: «غرفة الجلوس؟»

أجاب الحاجب: «إنها في الطابق العلوي يا سيدتي، بالقرب من غرفة نوم السيدة.»

تذكرت أوديلا أنه لم يكن هناك في السابق شيء يسمى غرفة الجلوس، بل كان هناك صالات للاستقبال فقط.

فقد قالت الكونتيسة بعد زواجها: «بما أنني أرغب في

أن أؤمن الراحة لأصدقائي، أرى أنه من الأفضل أن نجعل غرفة للجلوس.»

فأجابها زوجها الإيرل: «إفعلي ما يحلو لك يا عزيزتي، طالما أنت هنا!»

نظرت إليه زوجته عند ذلك بامتنان ومحبة وقالت: «آه، يا آرثر، هكذا أريد منك أن تفكر، وكما تعرف، عندما أكون منكبّة على عملي في غرفة الجلوس، يكون كل ما في أنحاء المنزل من غرف لك ولراحتك.»

صعدت أوديلا السلالم إلى الطابق العلوي وقد تملكها شعور بالتوتر يتزايد أكثر مما كانت عليه وهي في العربة، وقالت في نفسها مستدركة انه من الغباوة تصرفها هذا فلا داعي لهذا الخوف والوجس.

عند وصولها إلى غرفة الجلوس، فتح الحاجب لها الباب، وأول ما استرعى انتباهها التغيير الكامل لما كانت عليه أيام والدتها.

لقد تبدّلت الستائر والأغطية والسجاد بالجديد منها، حتى أن الأثاث القديم الذي كان يعتبر أنيقاً وغالي الثمن، استبدل بأثاث مزخرف بإسراف بخطوط متموّجة، وبطاولات سطحها منحوت ومنقوش بالمرمر المطلي بالذهب، وقد استبدل شمعدان والدتها القديم بشمعدان أكبر بكثير، حتى أن اللوحات الزيتية الجميلة رفعت ليحل مكانها مرايا ذات إطار ذهبي لا تعكس سوى صورة جمال المرأة التي تشغل الغرفة في الوقت الحاضر.

نهضت الكونتيسة من مكانها في اللحظة التي دخلت فيها أوديلا الغرفة واقتربت منها فاتحة الذراعين لتضمها

إلى صدرها هاتفة: «أوديلا! كم تسعدني رؤيتك من جديد.» ثم قبلتها على خديها.

ابتعدت عنها بعد ذلك لتتابع قائلة: «لقد أصبحت أجمل من السابق، نعم نعم بل أصبحت رائعة الجمال! سوف تكونين الجمال الذي لا مثيل له في كل حفلة سأرافقك إليها!»

لغاية الآن، يبدو الأمر لا غبار عليه، لكن أوديلا شعرت بالرغم من ذلك بأن هناك شيء غريب وراء كل هذه الاطراءات، شيء لا يمكنها تسميته ولكنه من دون شك موجود.

تابعت الكونتيسة تقول: «اجلسي الآن، وسأخبرك عن الأعمال الكثيرة التي سنقوم بها.»

قاطعتها أوديلا قائلة: «آمل يا زوجة أبي لو أنه سيكون بإمكاني الذهاب إلى البلدة لأنني بشوق لركوب دراغونفلي.»

ردّدت الكونتيسة قولها بذهول: «دراغونفلي؟ آه، حصانك.»

تابعت أوديلا: «قال والدي بأنه بخير، كما أن الطقس بديع الآن في البلدة في فصل الربيع.»

وافقتها الكونتيسة قائلة: «نعم أعرف يا عزيزتي، لكن كما تعلمين، أن الموسم بدأ ولقد حجزنا لحفلتين أو ثلاث في كل ليلة للأشهر الثلاث المقبلة.»

كادت أوديلا أن تدلي بهتاف مذعور لهذا الكلام الذي تسمعه من زوجة والدها، لكنها تمالكت نفسها ولاذت بالصمت.

ثم تابعت الكونتيسة: «بالطبع، يجب أن تقتني ملابس جديدة، كما أن والدك الرائع والرائع جداً وبما اتصف بكرمه

الحاتمي، قال لي إن بإمكاني أن أشتري لك كل ما هو مناسب.»

فقالت أوديلا: «عندي ملابس عديدة وجميلة كنت قد اشتريتها من فلورنسا.»

«فلورنسا! إن أكثر الملابس الأنيقة في لندن تأتينا من باريس، وأنا واثقة من انك عندما ترينها ستدركين بأنه ليس من مثيل للأناقة الفرنسية في العالم بأسره!»

لم تجادلها أوديلا، بل أخذت تصغي فقط إلى كلامها، وشعرت بالألم يعصر صدرها من فكرة احتجازها في هذا الفصل في لندن وعدم ذهابها إلى بلدة شالفورد التي تقع في أجمل بقعة من أوكسفورشاير.

لقد كانت طوال حياتها تفكر وتحلم برؤية أزهارها البديعة الألوان تحت شجر البلوط، وبثمر زهر اللبن الثلجية وبالبنفسج وبزهر زر الذهب في الحقول الخضراء المحيطة بالبحيرة.

وتابعت الكونتيسة قائلة: «علينا أن نعمل بسرعة، ستقام حفلة في ديفونشاير الأسبوع المقبل، ويجب أن تشتري ثوباً رائعاً لك يلفت الأنظار.»

توقفت قليلاً عن الكلام لتبتسم لأوديلا ثم تابعت:

«أعتقد أيضاً بأن والدك سيكلم أمير ويلز كي تنضمي إلى إحدى الحفلات التي ستقام في مالبورو... هل تدركين كم أنك فتاة محظوظة جداً حتى يكون لك والد مهم ومميّز مثل والدك؟ فالمهنيون أمثالك لا يدعون عادة إلى مثل هذه الحفلات في مالبورو.»

كانت أوديلا في هذا الوقت شاردة لا تفكر سوى

www.rewity.com/vb بلا عنوان

بحصانها دراغونفلي، وكيف يمكنها أن تذهب إلى البلدة ولو لقضاء ليلة واحدة لتتأكد بنفسها بأنه ما زال بصحة جيدة كما تركته قبل عام. لقد اقتنته منذ ان كان مهراً ودربته بنفسها.»

كان يسرع إليها كلما نادت عليه ويحرّك رأسه وذيله ليظهر محبته لها، كما أنه كان يقفز فوق الحواجز العالية إكراماً لها ولكي يريها بأنه ماهر وقوي.

كانت الكونتيسة ما زالت تتابع كلامها عن الملابس والألوان التي يمكن اختيارها والتي تناسبها، ثم ابتسمت وقالت بفرح: «من دواعي سروري أن لا يكون المال عقبة بيننا وبين شراء هذه الملابس.»

نظرت أوديلا بدهشة لرنة الفرح التي أظهرتها زوجة والدها من كلامها هذا ثم قالت: «إنني متأكدة من أن والدي لا يريدني أن أكون مسرفة بهذا الشكل!»

خيّم صمت وجيز قبل أن تقول الكونتيسة: «سيوضح لك والدك بنفسه بخصوص هذا الأمر!»

أدركت أوديلا من نبرة صوت الكونتيسة بأن والدها سيحدثها بأمر في غاية الأهمية، وتساءلت في نفسها ما عساه أن يكون.

* * *

عاد والدها في تلك الليلة من زيارته لأحد اللوردات وقد ابتهج لرؤية ابنته، وضمها إلى صدره قائلاً: «لقد اشتقت إليك كثيراً يا ابنتي!»

ثم نظر إليها متفحصاً وأضاف كأنه يكلم نفسه: «إنك

تشبهين والدتك كثيراً، وفي الواقع فإنك نسخة عنها الآن يوم تزوجتها.»

ادركت أوديلا من نبرة صوته بأنه لم ينسَ يوماً والدتها.

فأجابته وقد جاش في صدرها حنينها لوالدتها: «ما من كلام قد يسرني يا أبي أكثر من هذا الكلام، لكنني أدرك بأنني لم أصل إلى نصف جمالها!»

قال والدها عند ذلك: «إنك جميلة جداً يا عزيزتي، أو ربما إذا صحّ التعبير، فإنك رائعة!»

كانا في تلك الأثناء في غرفة مكتبه ولمحته أوديلا ينظر نحو الباب قبل أن يتابع قائلاً: «لن يكون هناك امرأة مثل والدتك، ويجب أن لا تنسيها مهما حيّيت!»

أجابته أوديلا بحنان: «بالطبع، أنا لن أنساها أبداً! فأنا أفكر بها كل يوم، وعندما أفكر بها أشعر بأنها قريبة مني.»

وضع والدها يديه على كتفيها وقال بهدوء: «إنني متأكد بأنها كذلك!»

دخلت عند ذلك زوجة والدها إلى الغرفة وقالت: «أليس من المفرح أن تكون أوديلا الصغيرة معنا من جديد؟ والآن عليكما أن تسرعا بارتداء ملابسكما استعداداً للعشاء وإلا فسوف تتأخران!»

فسألها الإيرل: «هل يمكنني أن آمل بأن ليس هناك من ضيوف هذه الليلة؟»

من طريقة كلامه، أدركت أوديلا بأن هناك دائماً ضيوفاً على العشاء في غروسفنور وبأنه ينزعج من ذلك في بعض الأحيان.

لمست الكونتيسة يده بلطف قائلة: «كيف يمكنك أن

تتصوّر يا عزيزي آرثر بأنني قد أفسد أول ليلة لنا مع أوديلا باستدعاء ضيوف غرباء إلى العشاء!»

توقفت قليلاً عن الكلام قبل أن تتابع: «أريد أن أسمع منها ما تعلمته في مدرسة فلورنسا، كما وأنني أعرف بأنه متى انتهينا من العشاء، عندك شيء تريد أن تخبرها به.»

قطّب الإيرل حاجبيه وكأنها تصرفت تصرفاً طائشاً، فابتعدت الكونتيسة باتجاه باب الغرفة قائلة: «والآن، تعالي يا أوديلا، يجب أن تبدي جميلة أمام والدك الذي ما من أحد مثله يفهم أصول السلوك واللياقة التي اكتسبتها في أهم مدارس فلورنسا.»

تناولوا العشاء حول مائدة تتسع دون مبالغة لنحو ثلاثين شخصاً، وكانت مزينة بشمعدانات وتحف لم تكن والدتها تظهرها إلا في المناسبات الخاصة، وقد وُضع في المزهرية في وسط الطاولة نبات من فصيلة السحلبية، أما الأزهار التي زيّنت قاعة الإستقبال، لا بد وأنها كلفت مبلغاً كبيراً من المال على حد تعبير أوديلا.

عند العشاء، كانت أوديلا ترتدي أحد الفساتين التي اشترتها من فلورنسا، وكان قد أخبرها مصمّم هذا الفستان بأنه نسخة عن زيّ فرنسي.

انتبهت أوديلا إلى زوجة والدها تنظر إليها وهي تتفحص ما ترتديه، فشعرت بالتأثر من ذلك بالرغم مما تعاني منه.

ثم قالت زوجة والدها بنبرتها المتدفقة حلاوة: «أليس من البديع وجود أوديلا بيننا يا آرثر؟ لا تتصور كم أتوق إلى تقديمها إلى أصدقائنا، وبالأخص إلى الملكة بالطبع.»

تكلم الإيرل بثقل: «لقد تدبرت هذا الأمر كما طلبت مني.»

أجابته الكونتيسة: «عرفت بأنك ستفعل ذلك، ويجب أن تشكري والدك يا أوديلا لأنه كعادته تمكن من تدبير الأمر كما لا يستطيع أحد تدبيره.»

أسرعت أوديلا تجيب قائلة: «إنني حقاً ممتنة لك يا والدي، لكنني أتمنى لو يسنح لنا الوقت بالذهاب إلى منزلنا قبل أن أغرق كلياً بهذه الارتباطات.»

نظر والدها إليها ففهمت من النظرة في عينيه بأنه أدرك ما عنته هو منزلهما الكائن في البلدة، وليس هذا المنزل في لندن الذي لم تمكث فيه والدتها سوى فترات قليلة.

وقبل أن يتمكن الوالد من الإجابة، هتفت الكونتيسة صائحة: «لقد سبق وقلت لاوديلا يا آرثر بأن عليها أن تنتظر نهاية هذا الموسم قبل أن تعود إلى البلدة.»

لم يستطع الإيرل التفوه بكلمة واحدة، فقالت أوديلا: «أعلم بأنك تقدّر مدى اشتياقي لرؤية دراغونفلي يا والدي، وكم كنت أفرح عندما كنت تكلمني عنه في رسائلك إليّ في فلورنسا، لذا يجب أن أراه الآن طالما أنني عدت.»

فقال الإيرل: «نعم بالطبع، يمكننا في كل الأحوال أن نذهب إلى البلدة يوم سبت ونبقى فيها ليوم الاثنين.»

ظهر الفرح في عيني أوديلا، لكن الكونتيسة قالت: «بالطبع يا عزيزي آرثر، يمكننا أن نذهب إلى البلدة إذا أردنا، لكن أفضل الحفلات التي وافقت عليها ستكون يوم السبت في كل أسبوع.» توقفت قليلاً عن الكلام لتربت على يد آرثر متابعة: «لكن يا عزيزي، سيكون لك ما تتمناه وسأتدبر الأمر بطريقة ما ولو أن في ذلك صعوبة.»

أدركت أوديلا بالرغم من هذا الكلام، بأن زوجة والدها

ستفعل المستحيل لتضع العراقيل لمنعهما من الذهاب إلى البلدة، لكن شدة ذكائها جعلها تراوغ وتماطل في الأمر.

كما وأنها أدركت من طريقة تغيير والدها لدفة الحديث، بأنه مدرك هو الآخر شعور زوجته ومماطلتها.

أخذوا يتحدثون في كافة الأمور لغاية انتهاء وجبة العشاء، وعندما خرجوا من غرفة الطعام، طلب الإيرل من الخادم أن يأتيه بفنجان من الشاي إلى غرفة مكتبه.

فقالت الكونتيسة: «أعرف يا عزيزي بأنك تريد أن تنفرد مع ابنتك أوديلا، لذا طلبت من صديقتين لي أن تأتيا لزيارتي بعد العشاء.»

بدا الإيرل مندهشاً ولم يستطع سوى القول: «هذه لياقة منك يا عزيزتي، لأنه لدي حقاً الكثير لأقوله لأوديلا.»

أجابته الكونتيسة بلطف: «إنني أحاول دائماً ارضاءك يا عزيزي.»

سارت أوديلا بعد ذلك مع والدها في الممر المؤدي إلى غرفة المكتب، وقد لاحظت إسراع زوجته بالصعود إلى الطابق العلوي حيث تقع قاعة الاستقبال، وكأنها سعيدة للتحرّر منهما.

دخلت أوديلا غرفة مكتب والدها وشعرت بارتياح كبير عندما لاحظت بأنها الغرفة الوحيدة التي لم يطرأ عليها أي تعديل وقد بقي أثاثها الجلدي ذو اللون الأحمر نفسه، كذلك نفس طاولة المكتب التي تغطيها أوراقه الخاصة، كما أن اللوحات التي أحبتها منذ طفولتها كانت ما زالت نفسها تصوّر الأحصنة بمختلف أنواعها والتي يزيّن بمثلها جدران

غرفة مكتبه في البلدة، وكأنه لا يشعر بالارتياح إلا بوجود مثل هذه اللوحات من حوله.

فقطعت أوديلا الصمت قائلة: «من المفرح جداً أن أراك من جديد يا والدي! لا تدري كم اشتقت إليك طوال فترة غيابي الطويلة.» ثم وباندفاع منها، اقتربت منه وقبلته.

أجابها والدها: «كم كنت أود لو عدت إليّ أيام إجازاتك المدرسية، لكن زوجتي أعتقدت أن ذلك قد يفسد عليك الانتباه لدروسك.»

كانت أوديلا تدرك أن زوجة والدها لم تكن تريد لها العودة إلى المنزل، لكنها لم تفصح ذلك أمام والدها، وكل ما استطاعت أن تتفوّه به: «حسناً، لقد انتهيت الآن من تحصيلي، وآمل أن تكون راضياً يا والدي بكل الذي تلقنته.»

«لقد عدت إليّ، وهذا ما يهمني أكثر من أي شيء آخر.»

جلس والدها على اريكة، فتقدمت أوديلا وجلست إلى جانبه. قال لها: «لدي الكثير لأقوله لك.»

فتساءلت أوديلا: «عن ماذا؟»

«هل تتذكرين جدتك؟»

«هل تعني والدة أمي؟»

«نعم.»

أجابته أوديلا: «بالطبع أتذكرها، لكنها توفيت عندما كنت ما زلت في العاشرة من عمري.»

فقال والدها: «نعم أعرف ذلك، كما أنها كانت متعلقة بك كثيراً لأنك تشبهين والدتك كثيراً.»

فقالت أوديلا: «نعم انكر قولها هذا، كما أنها كانت

تحتفظ برسم صغير لي تعلقه في قاعة استقبال والدتي.»
وعندما تذكرت هذا الرسم، تساءلت أين أصبح الآن.

أجابها والدها وكأنه قرأ أفكارها: «إنني ما زلت أحتفظ برسمك في جارور مكتبي، وإذا قارنت رسمك ذاك برسم والدتك وهي في سنك، لا يمكنك التفريق بينهما!»

تنهدت أوديلا وقالت: «يسعدني جداً أن أكون شبيهة لوالدتي.»

لقد كانت والدتها شقراء الشعر، بينما زوجة والدها الكونتيسة الجديدة، كان شعرها بني يتموّج بخصلات حمراء، الأمر الذي دعا أوديلا للشك بأنه ليس على لونه الطبيعي، إنما وفي الوقت نفسه، كان جميلاً جداً.

كان بها كذلك شيء سطحي الذي لم يكن موجوداً قطعياً في جمال والدتها.

ثم قال والدها فجأة: «لقد اعتقدت دائماً بأن والدتك هي من أجمل النساء اللواتي عرفتهن في حياتي كلها، لكن لم يكن جمالها فقط هو الذي دفعني إلى أن أحبها.»

كانت أوديلا في تلك الأثناء تصغي إليه بانتباه بينما تابع هو: «كانت من النوع الشفاف الفريد الذي أنت تتمتعين به أيضاً يا عزيزتي، إنه شيء لا يمكنك أن تقرأيه في الكتب، أو تتعلميه من شخص آخر حتى لو كان حكيماً.»

ثم تابع مبتسماً: «إنه شيء فيك ومن ذاتك.»

اسندت أوديلا رأسها على كتف والدها بارتياح قائلة: «آه يا والدي، كم يسعدني كلامك الذي هو عندي أغلى وأفضل من أثمن الهدايا التي يمكن أن تقدمها لي!»

فقال الإيرل: «إنني لا أتفوّه سوى بالحقيقة، وهذا أمر قد

تحتاجين إليه في المستقبل. يجب أن تعديني يا أوديلا بأنك مهما فعلت وأينما اتجهت أن لا تصغي سوى إلى غريزتك.»

جاء كلامه الأخير بجدية مما جعل أوديلا تقول: «هذا حقاً ما أحاول أن أقوم به لأن والدتي كانت تقول لي ان استخدم غريزتي في تعاملي مع الآخرين كما كانت تستخدم هي غريزتها.»

«لقد كانت والدتك على حق في ذلك، كما أنها نصيحة ثمينة منها فعليك عدم نسيانها.»

فوعدته أوديلا قائلة: «لن أنسى شيئاً قالته لي والدتي.»

وبعد أن خيّم صمت قصير سألته أوديلا: «هل هناك من سبب وجيه دعاك إلى قول ذلك لي يا أبي؟»

ابتسم والدها وقال: «إنك تستعملين غريزتك الآن، والجواب هو نعم!»

تساءلت أوديلا قائلة: «وما عساه يكون يا والدي؟»

وشعرت فجأة بالخوف لأنها أدركت أنها لهذا السبب كانت متوترة ساعة وصولها.

بدا والدها وكأنه يفكر بالكلمات المناسبة ليبدأ بها، لكنه قال أخيراً: «لأن جدتك كانت تحب والدتك كثيراً، لذا بعد وفاتها، تركت لها كل ممتلكاتها.»

كانت أوديلا تصغي باهتمام شديد، وتابع والدها: «إن هذه الممتلكات لم تكن تساوي الكثير وقتها، لكن عندما توفيت والدتك تركت لك كل شيء من بعدها وأصبحت دون أي توقع آنسة ثرية جداً!»

هتفت أوديلا متعجبة: «لا... لا أفهم يا والدي لقد كنت أعتقد دائماً بأن عائلة والدتي فقيرة نوعاً ما.»

www.rewity.com/vb بلا عنوان

قال الإيرل: «هذا صحيح، لكن وقبل وفاة جدتك، نُقل إليها حصصاً من الرجل الذي رعاها وكان أميركي الجنسية.»

هتفت أوديلا من جديد: «أميركي الجنسية!»

فتابع والدها: «أنا لا أذكر شقيق والدتك، ولا والدتك تحدثت عنه مرة، لكنه جاء من تكساس.»

سكت للحظات قليلة ثم تابع: «إننا ولسوء الحظ ننتمي إلى أمة تنعزل عن بقية الشعوب ولا يثيرنا أي شخص عبر الأطلسي.»

فقالت أوديلا تحاول أن تستوضح الأمر أكثر: «لكنك تقول انه ترك لجدتي مالاً، فلماذا لم تستمتع به والدتي إذاً؟»

أجاب الإيرل: «هذا ما يجب أن أشرحه لك.»

بدا مرة أخرى بأنه يحاول أن يفتش على الكلمات المناسبة قبل أن يتابع قائلاً: «إن الحصص التي ورثتها والدتك من والدتها، تضاعفت في السنوات الأخيرة بشكل هائل، لأنها حصص نفطية، والنفط في تكساس يعني أن كل من يملك حصصاً فيه يصبح ثرياً بسرعة كبيرة.»

حدّقت أوديلا بوالدها غير مصدقة قائلة: «وتحاول أن تقول يا والدي ان هذه الحصص باتت لي؟»

«هذا فعلاً ما أحاول أن أقوله لك يا عزيزتي، وعليك أن تفهمي بأنها مسؤولية كبيرة جداً.»

فقالت أوديلا بحزن: «آه، يا ليت والدتي عرفت بذلك! إنك تعرف كم كانت ترغب في بناء مدارس في البلدة وكذلك مستشفى في العقار.»

قال الإيرل بألم: «هذا صحيح، لكنه كان من الصعب علي وقتها أن أؤمن اعتماداً مالياً لتحقيق رغبتها تلك.»

فتساءلت أوديلا: «هل تعتقد أنه شيء يمكنني أن أقوم به الآن.»

ابتسم الإيرل وقال: «إن كنت ترغبين بذلك، وعليك أن تتذكري يا عزيزتي في الوقت نفسه، بأنك لن تعيشي بقية حياتك في البلدة.»

تابعت أوديلا تحدق به بذهول بينما تابع هو يقول: «إنك بالطبع سوف تتزوجين وأعرف بأن قلبي سيتحطم لابتعادك عني من جديد لكن هذه سُنة الحياة وأدعو لك بالسعادة نفسها التي كانت تظللنا، والدتك وأنا.»

لاحظت أوديلا أنه لم يذكر زوجته الجديدة، فقالت له: «اتمنى يا أبي من صميم قلبي لأن أظفر برجل أحبه ويحبني كما أحببت أنت والدتي، ولكن سيكون من الصعب علي أن أجد رجلاً رائعاً مثلك!»

ضحك والدها وقال: «إنك تجاملينني الآن، بالطبع ستجدين رجلاً مثلي، لكنك في الوقت نفسه ستجدين صعوبة في تجنب الذين سيلاحقونك من أجل ثروتك!»

«لقد قرأت عن مثل هؤلاء الرجال في الكتب، وزميلاتي في المدرسة كانوا يسخرون من الإيطاليين الارستقراطيين الذين يسعون دائماً وراء الزوجات الثريات!»

فأجابها الإيرل: «أخشى أن أقول لك بأن هناك الكثير من أمثالهم هنا أيضاً، لذا يا ابنتي العزيزة، يتوجب علي ان افعل أي شيء كي احميك من الرجال الذين قد يعتقدون أن ثروتك لا تقاوم.»

تنهدت أوديلا وقالت: «أفهم يا والدي تماماً ما تحاول أن تقوله لي، وبالطبع سأكون حذرة جداً.» توقفت قليلاً مفكرة

ثم تابعت: «لكنني أعتقد أنني لو استعملت غريزتي كما كانت تفعل والدتي، سأجد رجلاً مثلك أعرف بأنه يحبني لنفسي وليس لثروتي.»

فقال الإيرل: «الأمر ليس سهلاً، فقد صادفت في حياتي آنسات أمثالك يُلاحقن من قبل الرجال لاعتقادهم بأن السعادة فتحت لهم من بابها الواسع.»

«في هذه الحال، أريدك يا والدي أن تستعمل أيضاً غريزتك إذا تقدّم أحد وطلب يدي وتقول لي رأيك فيه.»

ضحك الإيرل وقال: «الأمر ليس سهلاً كما تعتقدين، فبعض الرجال يملكون الكلام المعسول كما كانت تسميهم والدتك، ومهما بلغ ذكاء الفتيات قد يتأثرن به، وبصراحة يا عزيزتي، أقول لك إن هذا الأمر يقلقني ويشغل تفكيري!»

أجابته أوديلا بسرعة: «آه يا والدي، لا أريدك أن تقلق بشأني، فلنذهب إلى البلدة ولنهتم فقط بالأحصنة وأنسى أمر الرجال الذين يفضلون بريق الذهب عن التريّض في الهواء الطلق وعلى صهوة الحصان.»

عاد الإيرل يضحك من جديد قائلاً: «كم أتمنى أن أفعل ذلك يا عزيزتي، لكنك تعرفين جيداً كما أعرف أنا بأن هناك مشاغلي وواجباتي في لندن، كما أن زوجتي هيأت نفسها على تقديمك إلى المجتمع.»

لاذت أوديلا بالصمت وقد أدركت السبب من ثرثرة زوجة والدها في هذا الأمر ولن يهدأ لها بال إلا لتدفعها إلى ذلك المجتمع الارستقراطي الذي لا يخلو من الحفلات والدعوات التي تضمّ أهم الأشخاص ذو الألقاب الرّنانة.

فسألته فجأة لا شعورياً منها: «هل تعتقد يا والدي أنه لا فرصة لي في أن أرفض هذه الثروة؟»

ذهل والدها وقال: «ترفضينها؟»

«إنني لا أريدها، لقد أحببت والدتي ليس بسبب ما تملك أو ما لا تملك، بل لنفسها، ولا بدّ أن هناك رجل قد يحبني بالطريقة نفسها.

أجابها والدها: «ستلتقين بالكثير ممن قد يحبونك لنفسك فقط، وفي الوقت نفسه ستلتقين بعدد أكبر ممن ينجذبون إليك بسبب أنه متى اصبح الواحد منهم زوجك سيتسلم أمر ثروتك بنفسه ويريحك من مشاكلها وتصبح بالتالي ملكه أيضاً.»

اعترضت أوديلا قائلة: «أعتقد أن هذا ليس عدلاً!»

نظر والدها إليها بدهشة وقال: «لا تقولي لي بأنك أصبحت مثل تلك الفتيات اللواتي يرغبن أن تبقى ثروتهن بين أيديهن ولا يرغبن في الاعتماد على أزواجهن.»

أجابته أوديلا: «أعتقد أن الجواب عن سؤالك هذا هو: هذا يتوقف على نوعية الرجل!»

رفع والدها يديه في الهواء بخوف وقال: «إنك الآن تخيفينني! كما أنني أُخبرت بأن الملكة تخشى الكلمات العاطفية التي تعبر بها الزوجات اللواتي يرفضن إطاعة أزواجهن أو الاعتماد عليهم.»

فقالت أوديلا: «حتى وأنا في فلورنسا سمعت بهذه القصص، كما أنني أعدك يا والدي بأنني لن أكون واحدة منهن، واعتذر منك ان كان ذلك يزعجك عندما أعبر عن رأيي بأنني أرغب بأن أكون مستقلة.»

فقال الإيرل بارتياح: «لقد أرحتني يا ابنتي، على أية حال، يجب أن تكوني حذرة.»

أجابته أوديلا: «طبعاً سأكون حذرة، لكن أطلب منك أن تعدني يا والدي بأن لا تزوجني بسرعة، لأنني أريد أن أبقى بجوارك بعض الوقت! أريد أن أبقى معك!»

ابتسمت له بمحبة ثم تابعت: «كما وأنني أريد أن أتنزه معك على صهوة الحصان! وإذا كانت المسألة مسألة حماية من يكون لي غيرك يا والدي لتحميني.»

ضحك الإيرل وقال: «لو قمت بمثل هذا الخطاب في مكان عملي، لكانوا قدروه وصفقوا لك!»

فقالت أوديلا: «هراء! سيذعرون الآن إذا تميزت بأنني أستحق القيام بأعمال الرجال!»

ضحك الإيرل من جديد وقال: «أما ما فكرت به الآن يا عزيزتي، بأنه وقبل أن تغرقي في تلك الدعوات والحفلات، ان نذهب سوياً إلى مكتب المحاماة الذي يتكفل بثروة جدتك.»

توقف قليلاً عن الكلام ثم تابع: «أعتقد بأنهم يريدون منك أن توقعي على العديد من الوثائق، كما أنني أعتقد بأنه من الحق لك أن تعرفي كم تملكين في الوقت الحاضر.»

تباطأ في كلماته الأخيرة، الأمر الذي دعا أوديلا أن تسأل: «هل تعني بكلامك يا والدي بأنها تزداد؟»

أجابها والدها: «كل يوم تقريباً! في الحقيقة يا ابنتي، الأمر كله لا يصدق!»

فقالت أوديلا: «من دواعي الأهمية أن نعرف بكل ذلك، وبعد ذلك، ربما يمكننا بناء المدارس والمستشفى في العقار تحقيقاً لرغبة والدتي.»

وافق الإيرل قائلاً: «سنهتم فعلاً بذلك، لكنني لا أحب أن يعتقد زوجك في المستقبل بأنني انتزعت المال من ابنتي الذي سيكون خاصته.»

أجابته أوديلا: «لن يكون زوجي إذا كان سيفكر بهذه الطريقة، أعدك يا والدي بأنني سأكون بالنسبة لك جديرة بالذكر واحفظ في رأسي كل كلمة قلتها لي.»

فكرت بينما كانت تكلم والدها، بأنه من الخطأ والعبث أن تبدّد ثروة جدتها التي تحوّلت إلى والدتها وبالتالي إليها، بطريقة غير حكيمة كما فعل العديد من الرجال.

نهض والدها بعد ذلك وتوجه إلى طاولة مكتبه وفتح الجارور ليتناول منه رسمين صغيرين كانا قد تحدثا عنهما سابقاً، ثم وضعهما على الطاولة، ففكرت أوديلا كم أن الرسمان رسما بطريقة بديعة. كان رسم والدتها قد تبدّل بفعل السنين، إنما ما زال يُظهر مدى جمالها في طفولتها، كما رسمها هي.

وبعد ذلك، تناول والدها رسماً آخر لوالدتها رُسم مباشرة بعد زواجه منها، وكان من السهل جداً أن يرى المرء التشابه بين الوالدة والابنة، فقالت أوديلا: «أحب هذا الرسم، وأتمنى لو أتمكن من النظر إليه كل يوم.»

فقال والدها: «إذاً، هذا ما عليك أن تفعليه من الآن فصاعداً، خذيه يا عزيزتي وابقيه معك أينما ذهبت.»

هتفت أوديلا وقالت: «أحقاً ما تعنيه يا والدي؟»

«أريدك أن تشعري بأن والدتك دائماً معك، تراك وتساعدك على استخدام غريزتك.»

فقالت أوديلا: «سأنظر في هذا الرسم عدة مرات يومياً وسأتمنى كل ليلة بأن تساعدني فعلاً.»

قبلها والدها وقال: «عندما تتكلمين بهذه الطريقة، أؤكد بأن والدتك قريبة منا نحن الاثنين.»

ترقرقت الدموع في عيني أوديلا من كلام والدها المفعم بالحنين والمحبة لوالدتها، فحملت الرسم بين يديها وضمته إلى صدرها قائلة: «أشكرك، أشكرك يا والدي! لا يمكن أن تقدّم لي شيئاً قد يكون أكثر أهمية لي.»

قبلته من جديد وقال والدها: «أعتقد أنه ينبغي منا أن ننضم إلى زوجتي وصديقاتها.»

تمنعت أوديلا بحركة من رأسها وقالت: «لقد أتعبني ذلك السفر الطويل يا والدي، واشعر بالتعب الشديد، كما أنني متأكدة من أنها ستعذرني فيما لو ذهبت إلى الفراش.»

وافق الإيرل قائلاً: «بالطبع ستعذرك، وسأقوم بالاعتذار بالنيابة عنك.»

ثم أعاد الرسمين الأولين لزوجته وابنته إلى الجارور، وحملت أوديلا رسم والدتها بيدها ومشت معه إلى الطابق العلوي تشاهد بعينيها التغييرات التي احدثتها زوجة والدها شاعرة بأن كل ما كان مألوفاً لديها قد زال وحلّ مكانه أشياء غريبة عنها جعلتها تشعر بأنها هي حتى غريبة عن هذا المكان، وأدركت أنها لو قالت ذلك، سوف تزعج والدها، فلمست يده بحنان وقالت: «أحبك كثيراً يا والدي! وأرجوك أن تدعني أمضي أكثر وقت ممكن معك، من المخيف نوعاً ما أن التقي بهذا العدد من الغرباء!»

شدّ والدها على يدها وقال: «أفهمك يا ابنتي، وأعدك بأنني حتى سأقلل من واجباتي تجاه عملي.»

فسألته أوديلا بصوت منخفض: «إذاً، هل نذهب لركوب الخيل في الصباح الباكر؟»

ضحك والدها وقال: «أرغب بذلك أكثر من أي شيء آخر! لكن تذكري بأنك سوف تتأخرين كل ليلة في حفلات تطول إلى الفجر، لذا أعتقد أنه عليك أن تطلبي مثل هذا الطلب بعد أسبوعين أو ثلاثة.»

فأكدت له أوديلا: «سأفعل يا والدي.»

وعدها والدها عند ذلك قائلاً: «إذاً سأوافق عندما تطلبين.»

وصلا أخيراً إلى باب قاعة الاستقبال حيث تمكنت أوديلا من سماع صوت زوجة والدها، فقبلته بينما قال لها: «عمت مساء يا عزيزتي، نامي جيداً، وسنخرج معاً في الغد بعد تناول طعام الغداء.»

فقالت أوديلا: «سأنتظر ذلك بشوق، وأرجوك أن تقدم اعتذاري لزوجتك.»

فتح والدها باب قاعة الاستقبال، فتمكنت أوديلا من أن تنظر بسرعة إلى الداخل حيث وجدت زوجة والدها جالسة على الكنبة، تلمع ببريق الجواهر الثمينة وتظهر بمظهر أنيق مبالغ فيه، وكانت تتحدث امرأة تجلس إلى جانبها، فتساءلت أوديلا في نفسها ماذا حلّ بالضيفة الثالثة، لكن وبما أنها كانت تريد الهروب لتختلي بنفسها في غرفتها، أسرعت بالابتعاد بخطوات متعثرة.

كانت غرفتها تقع في نهاية الرواق من الطابق الأول ولم تكن الغرفة نفسها التي شغلتها في السابق، وتمنّت لو بإمكانها أن تعود إليها، لكنها فكرت انه من الخطأ ان تطلب أي شيء في أول ليلة لها هنا بعد عودتها.

www.rewity.com/vb

لاحظت بعد ما دخلت إلى الغرفة، بأنها غرفة تُهيأ عادة للضيوف وبأن زوجة والدها جدّدتها، وتساءلت إن كان هناك أي معنى من اختيارها لمحتويات الغرفة، ربما تريد من تصرفها هذا أن تتخلص من وجودها لحظة وصولها، ثم عدّلت عن فكرتها هذه وقالت في نفسها بأنه لا داعي لأن تكون شكوكية إلى هذا الحد.

فلقد رحبت بها الكونتيسة وهي من دون شك على علم بهذه الثروة الطائلة التي ورثتها.

ثم كلمت نفسها قائلة: «لو أنها ترغب حقاً في أن تساعدني على تبديد هذه الثروة بسرعة، لا يمكن أن تتمنى لي الزواج بهذه السرعة.»

وبدت لها هذه الفكرة منطقية، لكن ومع ذلك شيء ما في داخلها أنبأها بأنها خاطئة في تفكيرها هذا، فسألت نفسها بصوت عال: «لكن ما قد يكون إذاً؟»

بالطبع لم يكن هناك من جواب.

الفصل الثاني

«آسفة لذهابك باكراً إلى الفراش ليلة الأمس.»

قالت الكونتيسة بعد انتهائهم من تناول طعام الغداء بينما همّ الإيرل وأوديلا بالإسراع بالخروج.

أجابتها أوديلا: «لم أكن أرغب بأن أبدو عديمة الذوق ولكنني كنت متعبة جداً بعد تلك الرحلة الطويلة البارحة بالقطار.»

فقالت الكونتيسة بنبرة هادئة: «أفهم ذلك بالطبع، مع أنني كنت أرغب لو أنك تعرفت على الفيكونت مور الذي جاء لاحقاً.»

والتفتت تنظر إلى زوجها الإيرل وتابعت: «أنت تعلم بأنه ابن صديقك الإيرل مورلاند يا آرثر، وأعتقد، بأنه يتمتع بذكاء والده.»

فأجابها الإيرل: «لم أدري يوماً بأن مورلاند ذكي! وخطاباته في مجلس اللوردات تعتبر فاشلة!»

ابتسمت الكونتيسة وقالت مجاملة: «أراك يا عزيزي بأنك تقارنه بنفسك، فلا أحد في هذه المقاطعة يمكنه أن يقوم بخطابات ذكية كما تفعل أنت، حتى ولو كان الموضوع بسيط للغاية!»

فقال الإيرل: «إنك تحاولين مجاملتي الآن. ولكنني أعترف بأن لدينا عدد لا يستهان به من المواضيع المملة والتي لا يسعني إلا وأن أصفها بالبسيطة!»

ضحكت أوديلا وقالت: «إنني متأكدة من أنك تتواضع يا

والدي، كما وان كل أعضاء اللوردات يتمنون لو يمكنهم التحدث مثلك.»

تدخلت الكونتيسة لتقول: «على كل حال، ان جون مور شاب ذكي جداً، كما وأنني متأكدة بأنه يجيد التكلم بلباقة، فعلينا أن ندعوه إلى بعض ولائم العشاء التي قد نقيمها.»

فرجتها أوديلا: «آه أرجوك أن لا تخططي المزيد من الدعوات بهذه السرعة! وأتمنى أن لا يتم ذلك قبل أن أحصل على ثيابي الجديدة.»

شعرت بينما كانت تنطق بهذه الكلمات، بأنها تتصرف باندفاع وسرعة قد تدخلها في أمور مربكة كمن تلاطمه أمواج البحر من كل صوب ويحاول بصعوبة التخلص منها إلى بر الأمان.

فأجابتها زوجة والدها: «لا أريدك أن تتوتري يا عزيزتي الصغيرة، أنت تعرفين بأنني سأهتم بك جيداً، كما وأنني متأكدة من أنك ستحققين انتصاراً كبيراً وبأن والدك سيكون فخوراً بك.»

خامر أوديلا مرة أخرى الشعور بأن كل شيء قالته زوجة والدها، له معنى وطابع خاص وكذلك خلفياته.

ثم قالت أوديلا في نفسها وهي تصعد إلى الطابق العلوي لترتدي معطفها وتعتمر قبعتها: «لا بد وأنني أتصوّر أشياء لا أساسا لها.»

لكنها وفي الوقت نفسه، كانت متأكدة من أن هناك شيء في الجو محفوف بالخطر، وشعرت وهي تهبط السلالم بأنها ووالدها يهربان من هذا الخطر. حتى أنه كان بإمكانها أن ترى تخيلات سوداء تزحف إليهما.

فأنّبت نفسها وقالت في داخلها: «إنني أتصرف بغباء.»

وعندما أصبحت مع والدها داخل العربة، أمسكت يده بلطف وقالت: «أشعر الآن وكأننا عدنا سنوات إلى الوراء حيث كنت أرافقك بالعربة، لكنني أتمنى لو أننا في البلدة في الحقول الفسيحة.»

وعدها الإيرل قائلاً: «أعدك بأن نقوم بذلك، إنما أقول لك إني أعتبر هذا الوقت من أسوأ أوقاتي في هذه السنة، فالملكة باتت متطلبة أكثر من عادتها، كما أنه ألقي العديد من الحسابات على عاتق مجلس اللوردات من مجلس العموم.»

فقالت أوديلا: «أفهمك يا والدي، واليوم تلعب دور الهارب من أداء واجبه، لذا دعنا نستمتع بهذا الوقت.»

شدّت على يده وقالت: «أخبرني عن دراغونفلي، هل امتطيته منذ ابتعادي عنه؟ وهل ما زال يقفز كما كان يفعل في السابق؟»

أجاب والدها على أسئلتها مطمئناً وهو الذي كان يعتبر من أمهر الفرسان وكل الجياد التي كانت في أسطبله من خيرة الجياد الأصيلة.

عزمت أوديلا عند وصولهما إلى مكتب المحاماة بأن تركب الخيل معه قبل تناول فطور الصباح، لأنها تعرف أنه بعد ذلك يستلم عمله.

أُستقبلا في مكتب المحاماة بمزيد من الاحترام، وشعرت أوديلا بأن المحامي يظهر التذلل والخنوع لها أكثر مما يظهره إلى والدها، وتساءلت هل أن تصرفه هذا لأنها أصبحت ثرية جداً أم لماذا؟

لامت نفسها من جديد قائلة في داخلها: «يجب أن لا أفكر أبداً بهذه الطريقة!»

على أية حال، فبعد مرور ساعة ونصف من الزمن، تأكد لها أنها لم تكن مخطئة. وعندما ركبا العربة بغية العودة إلى المنزل، كان من الصعب على أوديلا أن تقول شيئاً. إنها حتى وفي أكبر أحلامها، لم تتصور نفسها ستملك تلك الثروة الضخمة والتي هناك احتمال بأن تتضاعف أكثر وأكثر.

شرح لها السيد هاليت الشريك الأكبر سناً بوضوح كل ما يتعلق بهذه الحصص، فعندما تُركت هذه الحصص لجدتها، كانت في الواقع لا قيمة لها، والشركة التي استثمرت هذه الحصص قد أشغلتها بالنفط والعملية كانت مكلفة جداً ولم تأتِ بأية أرباح لمدة عام كامل.

ومما قاله أيضاً السيد هاليت: «لذلك كان هناك احتمال بأن تصفّي هذه الشركة أعمالها وتقفل مكاتبها والوثائق التي تلقتها جدتك من أميركا تركت في المصرف ونسي أمرها.»

لأن القصة بدت مشوّقة، سألته أوديلا بحماس: «وماذا حدث بعد ذلك؟»

أجابها السيد هاليت: «لا شيء، إلى أن توفيت جدتك، فأضيفت هذه الحصص إلى ما ملكته هي سابقاً قبل أن تنتقل ممتلكاتها إلى والدتك.»

فقالت أوديلا وهي تتحوّل بنظرها إلى والدها متسائلة: «لم تذكر والدتي هذا الأمر أمامي!»

ابتسم والدها وهو يقول: «هذا صحيح، لأنني اعتقدت

بأن لا قيمة لها خاصة بعدأن عرفنا بأن الشركة أقفلت مكاتبها وصفّت حساباتها.»

فتابع السيد هاليت: «بعدئذ وبعد وفاة والدتك، وعندما أحصينا ممتلكاتها، تذكرنا تلك الحصص وقمنا باتصالاتنا.»

ثم نظر إلى الإيرل وهو يتابع: «وكما تذكر يا سيدي وحسب تعليماتك، كتبنا إلى أميركا لنعرف الوضع بالتحديد.»

فأجاب الإيرل: «أعترف بأنني وقتها اعتبرت الأمر مضيعة للوقت وكلفة للبريد!»

ابتسم السيد هاليت وقال: «بعدها وبعد أن استلمنا جواباً متأخراً، كانت صدمة قوية لنا ولك أيها الإيرل!»

فوافقه الإيرل قائلاً: «أعترف حقاً بأنني ذهلت!»

ثم نظر إلى أوديلا وتابع يقول: «كنتِ وقتها قد سافرت إلى فلورنسا يا عزيزتي عندما اكتشفنا ذلك ولم يكن من داعٍ لابلاغك بذلك فانتظرنا عودتك.»

أجابته أوديلا: «لا أعتقد بأنني كنت سأصدقك! لأن الأمر يبدو أغرب من الخيال، وبعيد عن الحقيقة!»

فقال السيد هاليت: «هذا ما أعتقده شريكي وأنا، وكما تعرف أيها الإيرل، في السنوات الأخيرة تضاعف ثمن هذه الحصص، كما وأن هناك أمل كبير أن تتضاعف مرات مرات!»

نظر المحامي في بعض الأوراق أمامه وتابع يقول: «أعتقد يا سيدتي، أنه يحق لك أن تعرفي كم تملكين في هذه الشركة في هذه الأيام.»

ثم ناول أوديلا تلك الأوراق، حملقت بالأرقام وهي لا تفقه منها شيئاً.

الآن وهي مع والدها في العربة، قطعت الصمت بعد تفكير طويل لتقول بنبرة خائفة: «ماذا يمكننا أن نفعل بهذا المبلغ الكبير من المال يا أبي؟»

أجابها الإيرل: «أول شيء يمكن عمله يا عزيزتي، هو أن نلتزم الصمت بخصوصه، فكلما قلّ عدد العارفين لثروتك كلما كان أفضل!»

قالت أوديلا: «هذا ما أريده بالفعل، لكن الناس ستثرثر.»

فكرت بزوجة والدها التي من المؤكد ستخبر أصدقاءها المقربين وبدورهم سيخبرون أصدقاءهم. إذاً لا مجال لأن تخفي أمر هذا الميراث عن أحد.

التفتت إلى والدها وقالت لا شعورياً منها: «أرجوك يا والدي أن تجعل زوجتك تعدك بعدم معرفة أحد بهذا الأمر الذي جعلني ثرية جداً.»

أجابها الإيرل: «لقد سبق وقلت لها بأن يبقى الأمر سراً.»

لكنه ومع ذلك لم يكن أميناً عن كتمان زوجته للأمر، وخامر أوديلا شعور بأن والدها يدرك بأنها ستتكلم، كما أنها سيسعدها أن تقدم فتاة مثلها إلى أصدقاء سيعيرونها كل اهتمامهم.

تابعت العربة مسيرتها، فقطعت أوديلا الصمت من جديد لتقول: «إنها مسؤولية كبيرة يا والدي، وعليك أن تساعدني.»

أجابها والدها: «تعرفين بأنني سأفعل ذلك، ويجب أن لا يجعلك هذا الأمر تقلقين منه يا عزيزتي، خاصة وأنك عدت لتوك من رحلة دامت سنة كاملة.»

توقف قليلاً مفكراً ثم تابع: «عندما تستقرين أكثر، سنتحدث في كيفية صرف هذه الثروة بالطريقة التي كانت سترضي والدتك.»

فقالت أوديلا: «لن أخاف من هذه الثروة إذا تمكنت من التصرف بها على هذا النحو.»

قال الإيرل عند ذلك: «إنك فتاة حساسة جداً يا عزيزتي.»

اقتربا من المنزل، فنظر الإيرل إلى ساعة يده قائلاً: «لقد تأخرت عن مجلس اللوردات، وما أريدك أن تفعليه الآن يا عزيزتي، هو أن تأخذي هذه الأوراق إلى غرفة نومي وتضعيها في الجارور الأول من الخزانة.»

كان والدها يحتفظ في جوارير الخزانة بأشيائه الخاصة العاجية، وإلى جانب هذه الخزانة، عُلقت مرآة تعود إلى عهد جورج الثالث.

وتابع الإيرل يقول: «أريدك أن تفعلي ذلك لأنني لا أريد أحداً من هذا المنزل بما فيهم سكرتيري الخاص أن يراها، وعندما أعود سأحتفظ بها في خزينتي الحديدية.»

كان لوالدها في غرفة نومه خزينته الخاصة حيث يحتفظ في داخلها ماله وجواهر العائلة.

وافقت أوديلا قائلة: «سأفعل يا والدي، لكن أرجوك أن لا تدع أحداً يراها.»

كانت تفكر بزوجته حين تفوّهت بهذه الكلمات، فقال وكأنما فهم ما ترمي إليه: «أعدك بأنها ستبقى بعيدة عن الأعين الفضولية.»

توقفت العربة أمام المنزل عند نهاية كلامه، فقبلته أوديلا قائلة: «شكراً لك يا والدي، وأرجوك أن تعود باكراً إن استطعت.»

www.rewity.com/vb

وعدها الإيرل قائلاً: «سأعمل جهدي، لكن لسوء الحظ، فبعض النبلاء أنفاسهم طويلة، حتى الملل.»

ضحكت أوديلا بينما كان الحاجب يفتح لها باب العربة لتخرج منها، وبقيت واقفة مكانها تلوّح لوالدها بيدها إلى أن اختفت العربة عن ناظريها، ثم دخلت المنزل والأوراق في يدها، وخشيت من أن تلتقي بزوجة والدها التي قد تصرّ على النظر في هذه الأوراق. لذلك، أسرعت بالصعود على السلالم وإلى الممر الذي يؤدي إلى غرفة والدها.

كانت الغرفة واسعة ورحبة، وكانت مثلها مثل أفضل الغرف التي تطل على الحديقة الغنّاء. لم يكن هناك أي خادم خاص في مثل هذا الوقت من النهار، فأقفلت أوديلا باب الغرفة بهدوء واتجهت إلى خزانة والدها وفتحت الجارور الذي كان يحتوي على عدد كبير من الأوراق وبعض القطع من الجنيه الإنكليزي المذهّب وقطعاً أخرى من الفضة. كان هناك أيضاً بضعة علب للجواهر، وكانت تعلم بأنها تحتوي على أزرار قمصانه الذهبية، وأزرار أخرى لمعطف كان يملكه.

وضعت الأوراق في الناحية الخلفية من الجارور كي لا يكتشفها خادمه الخاص ويبعثر بها، ثم أقفلته لتتوجه إلى المدفأة كي تتمكن من النظر إلى الصورة المعلّقة فوقها والتي كانت رسماً جميلاً لوالدتها رُسم في السنة التي تزوجت فيها من والدها.

اعتقدت أوديلا أنها تشبهها كما هي اليوم، فوالدتها كانت في الثامنة عشرة عندما تزوجت، وفي التسعة عشرة عندما أنجبت أوديلا.

كان شعرها أشقر ولون بشرتها وردي، عيناها واسعتان بلون أزرق رمادي، وتبدو أيضاً بالغة في الرقة، وكما قال والدها يمكن للمرء أن يلمس مدى شفافيتها.

فنظرت أوديلا إلى الرسم بحنان وقالت: «لو فقط يمكنك أن تكوني الآن بيننا يا والدتي، فمن المفرح أن نقوم معاً بالأعمال. يمكنك اليوم أن تبني المستشفى وأن تفتتحي المدارس وأن تساعدي العديد من الناس كما كنت دوماً ترغبين.»

وعندما انتهت أوديلا من التكلم مع نفسها، شعرت وكأن والدتها كانت تقول لها، هذا ما عليك فعله يا أوديلا.

«سأجرب يا والدتي... حقيقة سأجرب... لكن يجب أن تساعديني...» بهذه الكلمات البريئة وعدت أوديلا والدتها.

ترقرقت الدموع في عينيها، ثم ابتعدت بخطوات ثقيلة عن الصورة، وتذكرت كم بكت وبكت بحرقة ومرارة يوم وفاة والدتها.

فقالت لها يومذاك مربيتها بحزم: «إنك بأفعالك هذه لا تريحين والدتك في مثواها الأخير.»

وحدّقت بها أوديلا بينما تابعت مربيتها: «بالطبع إنك لا تريحينها! وما الذي تنتظرينه من بعد بكائك بهذا الشكل وامتناعك عن تناول الطعام، إنك بأفعالك هذه تجعلين كل من حولك بائس وكئيب!»

فسألتها أوديلا: «هل تعتقدين حقاً ان بإمكان والدتي أن تراني؟»

أجابتها مربيتها: «طبعاً بإمكانها رؤيتك! كما أنها غير راضية عنك لأنك لا تساعدين والدك في محنته والتخفيف عنه!»

كلمتها وقتها المربية بنبرة مؤنبة، لكن أوديلا شعرت بأنها منحتها نوراً يضيء الضيق الذي جثم فوق صدرها.

ومنذ ذلك الوقت، توقفت عن البكاء لتجد أن والدها بدا أكبر سنّاً مما هو عليه، فحملت على عاتقها أن تقوم بأي شيء لارضائه وإسعاده. ونجحت فعلاً بذلك وغمرها شعور دافىء في قلبها بأن والدتها راضية كل الرضى عنها.

تأوّهت أوديلا وقد عادت بذاكرتها إلى ارض الواقع وقالت: «لن أبكي مجدداً... لكنني افتقد لوالدتي أكثر من أي وقت مضى.»

كانت على وشك مغادرة الغرفة عندما ولدهشتها سمعت أصواتاً، ولم تستطع للوهلة الأولى أن تعرف مصدرها، لكنها أدركت بعد ذلك أنها صادرة من الباب الإضافي لغرفة والدها والذي يتصل بغرفة الجلوس.

إن غرف النوم الأساسية في هذا المنزل، لها أبواباً إضافية متصلة بغرف للزينة ولارتداء الملابس. وقد صنعت هذه الغرف الإضافية المتصلة من أجل استعمال الزوج فيما لو كانت الزوجة نائمة ولا يريد إزعاجها.

تذكرت أوديلا أن هذه الغرفة المتصلة بغرفة والدها، حولتها زوجته إلى غرفة للجلوس، ولا بد أن هذا الباب قد تُرك مفتوحاً جزئياً فاعتقدت أوديلا أن عليها أن تقفله، فمن الخطأ لخادم والدها الخاص أن يسمع ما قد يقال في تلك الغرفة.

اتجهت نحو الباب وعندما مدّت يدها تحاول إقفاله، سمعت زوجة والدها تقول: «لقد أصبحت وهي في هذا السن مليونيرة، كما أن ثروتها تتضاعف يوماً بعد يوم، إذا لم نقل ساعة بعد ساعة!»

حبست أوديلا أنفاسها، وكما توقعت فإن زوجة والدها بدأت بالحديث عن ثروتها.

سمعت بعد ذلك صوت رجل يجيب: «إنني لست مهتماً بابنة زوجك يا إيسما كما تعرفين، بل بك أنت.»

أجابت الكونتيسة: «هذا لطف بالغ منك، لكن بالطبع، هذا ما أريدك أن تشعر به في الوقت نفسه يا عزيزي جوني. وعليك أن تدرك بأنها فرصة لا يمكنك التغاضي عنها.»

تسمرّت أوديلا مكانها وكأنها شلّت عن الحركة، لقد عرفت الآن مع من كانت تتكلم زوجة والدها. إنه الفيكونت مور الذي تحدثت عنه عند تناول طعام الغداء.

وهتف الفيكونت قائلاً: «لماذا، آه لماذا لم أتعرف بك قبل زواجك من شلفورد!»

أجابته الكونتيسة: «لقد كنت وقتها في الهند تلعب دور الجندي الشجاع، وقبل ذلك كنتُ أنا متزوجة من هيربرت.»

تأوّه الفيكونت قائلاً: «لقد بقيت أرملة لمدة سنة كاملة قبل أن نجتمع مرة أخرى ببعضنا.»

فأجابت الكونتيسة بنبرة شبيهة بالبكاء: «لا تنسى، فأنت تعرف كما أنا أعرف، بأنك في ذلك الحين لم يكن بإمكانك أن تتحمل مصاريف أية زوجة أكثر مما أنتَ عليه الآن.»

ألمح الفيكونت قائلاً: «الأمور ستتبدل كثيراً بعد موت والدي.»

أجابت الكونتيسة: «لا بل قليلاً جداً، فلو صدقت يا عزيزي، تقول إن والدك ليس بالرجل الثري بما لهذه الكلمة من معنى، كما أن منزلك يحتاج إلى الألوف من الجنيهات لاصلاحه.»

أقرّ الفيكونت قائلاً: «هذا صحيح، لكنني أريدك يا أيسما، أريدك ولم أعد أقوى على الاحتمال أكثر من ذلك!»

فقالت الكونتيسة بلطف: «كما أنا أريدك وأكثر، لذا عليك أن تصغي إلى كلامي جيداً.»

«كل ما أريد أن أسمعه هو أن اكون قريب منك.»

همست الكونتيسة بنفس النبرة اللطيفة: «وكل ذلك سيكون ممكناً إذا تزوجت من أوديلا.»

فسألها الفيكونت بجفاف: «وما الذي أريده من فتاة في الثامنة عشرة من عمرها لم ينبت ريشها بعد، إنني أريدك أنت كما لاأريد أية امرأة غيرك في العالم.»

ثم خيّم الصمت عليهما، مما دعا أوديلا أن تتساءل ما الذي يحصل بينهما الآن، فأخذت تسترق السمع أكثر. الشيء الذي لم يكن بإمكانها التغاضي عنه لعلها تتمكن من معرفة خطط زوجة والدها.

قطعت الكونتيسة بعد ذلك الصمت وقالت بنبرة بدت غير ثابتة: «آه يا عزيزي، تعرف تماماً كم احترمك لكن علينا أن نكون عمليين، كما ان علينا في الوقت نفسه أن نكون على كامل الحيطة والحذر!»

فقال الفيكونت: «أعرف ذلك، لكن كل الذي أرغب في أن أقوم به، هو أن نعيش في جزيرة نائية حيث نكون بمفردنا وحيث لا نخشى العيون المتطفلة أو الآذان التي قد تسمع كلامنا.»

أجابته الكونتيسة بصوت هامس: «من المفرح، بل من المفرح جداً أن أكون معك في أي مكان.» ثم أضافت بنبرة مختلفة: «سنكون معاً لو فعلت ما سأقوله لك.»

«تعنين بزواجي من ابنة زوجك!»

«أعني أن ذلك سيفتح أمامنا المجال لنكون معاً من دون شك أو تساؤل أي كان.»

لم يعلّق الفيكونت بكلمة واحدة، فتابعت الكونتيسة تقول: «سيكون لك يا جوني مالاً كثيراً لا حدّ له بتصرفك وحدك. وأول شيء تقوم به، هو أن تشتري منزلاً في لندن يكون قريباً جداً من هذا المنزل، فمن المؤكد أن اوديلا تتمنى ان تكون قريبة من والدها، فيما سيفسح لنا المجال لرؤية بعضنا ساعة نشاء.»

سألها الفيكونت: «تحت أعين زوجك وابنته المراقبة؟»

فبادلته بسؤال آخر: «كيف سنسمح لهما بأدنى شك لو استعملنا ذكاءنا؟ كذلك وإلى أن تنتقل إلى منزل العائلة، سأقنع آرثر في أن يمنحك المنزل الريفي.» ثم ضحكت ضحكة خفيفة قبل أن تتابع قائلة: «إن أوديلا تفضل العيش في البلدة وسيسعدها أن تمضي معظم أوقاتها هناك، فبذلك وبمالها الكثير، ستتمكن من شراء أي شيء تريده في هذا العالم.»

ارتفع صوت الكونتيسة بعض الشيء وهي تتابع قائلة: «فكّر يا جوني بشراء يختاً ينقلنا إلى أجمل بقاع العالم فنتعرف عليها وعلى مجتمعاتها.»

لازم الفيكونت الصمت إلى أن تابعت تقول: «آه يا جوني، فكر بكل الإمكانيات التي ستتوفر لك! كما أنه سيسعدني أن أساعدك بالقيام بالأشياء التي أردت أن تقوم بها ولم تستطع لعدم توافر المال!»

استطاع الفيكونت أخيراً أن يتكلم فقال: «إنك تجعلين

الأمر يبدو سهلاً يا إيسما، فأنت تعرفين كما أعرف أنا أن النساء غيورات، لذا فقد يكون لأوديلا شكوكها من بقائي مع زوجة والدها معظم الوقت، خاصة وانها جميلة تماماً مثل جمالك.»

فقالت الكونتيسة بنبرتها اللطيفة: «هذا لطف منك حين تقول إنني جميلة. لكن أوديلا ما زالت صغيرة السن وبما انها تحب والدها كثيراً، ستفضل أن تبقى إلى جانبه دائماً.»

ابتسمت له قبل أن تتابع: «فلو كانت أكبر سناً مما هي عليه الآن، لما كانت تعلقت به بهذا الشكل، كما وانك نسيت أمراً آخر.»

فسألها الفيكونت: «ما عساه يكون؟»

«إنك تريد وريثاً ولا شيء يربط المرأة في هذه الحياة سوى الأولاد.»

فقال الفيكونت بهدوء: «فكرتك معقولة جداً يا إيسما، لكنني لو أردت حقاً وريثاً، والذي يكون أمراً ضرورياً في بعض الأحيان، أريده أن يكون منك وحدك.»

خيّم صمت وجيز قبل أن تقول الكونتيسة: «بالطبع كان الأمر ممكناً لو تم طلاقي من زوجي. لكن كما قلت لك يا جوني، علينا أن نفعل أفضل ما بوسعنا فعله، وإذا كنت شجاعاً بما فيه الكفاية، تتمكن من فعل أي شيء.»

أجابها الفيكونت وهو مقطب الجبين: «المسألة ليست مسألة شجاعة، بل المسألة هي كيف سأعيش مع امرأة غيرك، هل تعلمين يا ترى كم أحبك؟»

فأجابته الكونتيسة: «شعورك نحوي هو نفس شعوري نحوك أيها الوسيم القوي! ولهذا السبب لن أخسرك!»

فقال الفيكونت بلطف: «كما أنك لن تخسريني بتاتاً، لأنني أفضل الافلاس على أن أخسرك!»

خيّم صمت جديد عليهما، فانتبهت أوديلا وكأنها استفاقت من حلم مزعج، ثم مشت نحو الباب لتخرج منه إلى الرواق. وقبل ان تفعل ذلك نظرت إلى رسم والدتها التي كان في عينيها نظرة ثاقبة. فتحت الباب بهدوء وخرجت من غرفة والدها لتسرع إلى غرفتها الخاصة. فوجدتها خالية من الألفة والحنان، ورمت نفسها فوق السرير لا لتبكي، بل لتطلق لتفكيرها العنان.

أدركت الآن، لماذا منذ عودتها لم تشعر فقط بأن هناك شيئاً مريباً، ولكن هناك أيضاً شيئاً يهدّد بالخطر.

وكأنما ما كانت تخطّط له زوجة والدها وتفكر به، نقلته لها غريزتها التي لم تخطىء معها مرة، لذا يجب عليها بطريقة ما ان تهرب من هذا المكان.

شعرت بالبرودة والتحرّر بدلاً من الشعور بالبكاء والتوتر من هذه الحالة العصبية، وكأنها تكافح على دراسة موضوع شائك ومعقد، أو لأجل إيجاد حل لعملية حسابية معقدة، لكنها في الوقت نفسه كانت تشعر بالامتنان لحظها الذي سنح الفرصة لها لتعرف عدوّها من صديقها.

فتمتمت بصوت مسموع: «إنهم الآن لن يستطيعوا أخذي على حين غرة.»

انقشعت الأمور أمامها الآن وكأنها كانت تقرأ كتاباً أتاح لها فكّ رموز هذه المؤامرة التي تحيط بها.

الآن بإمكان أوديلا أن تعرف كيف ستتآمر زوجة والدها لتأمين زواجها من الفيكونت.

www.lewity.com

أولاً، فوالدها هو صديق للفيكونت، ثانياً، لو كان الفيكونت جندياً، لن يتمكن والدها من اتهامه بالإنسان المهمل، ولا أن يتهمه بأنه طائش ينتقل من نادٍ إلى آخر.

كانت تعتقد بأنه أكبر سنّاً من الشبان الذين قد تتعرف عادة عليهم في حفلات المجتمع. إنها تعلم أن زوجة والدها في السابعة والعشرين من عمرها، ومما لا شك فيه، أن الفيكونت يقاربها في العمر أو أكبر منها بقليل.

فكرت أوديلا وقالت: «سيقتنع والدي بأن هذا الرجل في سن يتمكن فيه من تسيير ثروتها بعقلانية، وكذلك ليرعاني ويحميني.»

تملكها خوف شديد لأنها ستتزوج من رجل مغرم بامرأة أخرى، وخاصة أن هذه المرأة هي زوجة والدها.

شعرت بالإذلال لأن الكونتيسة غير مخلصه لوالدها، وفي نفس الوقت تخطط لأن تزوج صديقها إلى ابنة زوجها من أجل الثروة.

أقسمت أوديلا في نفسها: «هذا شيء لن يحدث أبداً.» ومع ذلك، أدركت أنه يتوجب عليها أن تكون ذكية كي لا تقع في الفخ الذي ينصبونه لها.

لن تتمكن من البوح لوالدها بالذي سمعته لأنها تحبه وتحترم مشاعره، فهو بالرغم من محافظته على محبة والدتها، تراه في نفس الوقت منجذب بقوة نحو زوجته الجديدة.

فتساءلت بينها وبين نفسها: «كيف بإمكاني تحطيم والدي؟» وإذا كانت صادقة مع نفسها، لأدركت بأنه بات سعيداً منذ أن تزوج للمرة الثانية.

لقد كان ضائعاً بعد وفاة والدتها، وكانت إيسما شديدة الذكاء لتمكنها من إيجاد طريقة تجعله يشعر بمدى أهميتها بالنسبة له.

ثم عادت أوديلا تقول لنفسها: بالطبع، بإمكاني في أي وقت أن أقول لوالدي بأنني أشعر بكره شديد تجاه الفيكونت، ولن أتحمل مهما كانت الظروف أن أكون زوجة له. فلو كان الأمر عائداً وحده لوالدها، لانحلت المسألة، لأنها متأكدة من أنه لن يجبرها على زواج لا ترغب به. لكن ولسوء الحظ هناك زوجة والدها التي تعرف تماماً كيف تقنعه بطرقها المعسولة.

وستقدر بطريقة ما أن تقنعه بأن الفيكونت هو الرجل الوحيد الذي لا يلاحقها من أجل ثروتها، وستؤكد له بأن الحب سيأتي حتماً بعد الزواج.

لكن أوديلا فكرت بأمر آخر، فلو تمكنت زوجة والدها من تنفيذ خطتها، لن تتمكن أوديلا من اختيار الزوج الذي قد تراه ملائماً لها، وعادت أوديلا تفكر بصوت مسموع: «إنها ستتأكد من نجاح خطتها بإعلان الخبر على أصدقائها وستقول لهم ان الفيكونت معجب بي وبأنني أيضاً معجبة به، وعند ذلك سيعرف الشبان الذين قد أتعرف إليهم في الحفلات بأنني مخطوبة سراً!»

بإمكانها أن ترى كل ما سيجري وكأنها تشاهد مسرحية. فصرخت باضطراب: «ماذا بوسعي أن أفعل؟ آه ماذا سأفعل؟»

جاءت نبرة صوتها، يائسة وتعيسة، لكنها كان عليها أن تتصرف بسرعة فلا وقت لليأس والتعاسة الآن، فحوّلت نظرها إلى رسم والدتها ثم حملته بين يديها.

وهمست مستنجدة بها: «ساعديني يا والدتي... ساعديني وإلا فإنني لا محالة سأضيع.»

شعرت بينما كانت تهتف لوالدتها، بأن زوجة والدها تقف حاجزاً أمامها يمنعها من أية محاولة، وكأنها تسيرها وتجبرها على ذلك الزواج الذي قد يسبب تعاسة لحياتها.

تابعت تكلم رسم والدتها: «كل ذلك بسبب ثروتك يا والدتي، لذلك عليك أن تخفيها... أو انني...»

أدركت أن هذا هو الحل الوحيد، ألا وهو أن تهرب من هذا المكان في الوقت الحاضر، يجب أن تبتعد عن هذا الفخ الذي بدأ يطبق عليها قبل فوات الأوان.

مشت إلى النافذة ورسم والدتها ما زال بين يديها، لقد كانت الشمس قد بدأت بالمغيب. لكن الظلام لم يكن قد حلّ بعد، فالنور ما زال يطفي بظلاله على الحديقة الغنّاء، ونافورة مياه البركة، كانت ترمي بالمياه عالياً ليتناثر بعد ذلك بمئات النقاط المتلونة بفعل شمس المغيب. وكانت شتول الازهار تمتد في الحديقة بمختلف الاصناف، إنما بالتوليب الأصفر والقرمزي على نحو أكبر، أما أوراق الشجر فقد كانت ألوانها تميل إلى الأصفر مع الاخضر.

فقالت بعد أن شعرت بجمال هذه الطبيعة: «سأذهب إلى البلدة، فهناك على الأقل يمكنني أن أفكر بروية!»

تذكرت حصانها دراغونفلي، فلو أمتطته في غابات البلدة لتمكنت بالتأكيد من إيجاد حل لمشكلتها.

فكلّمت نفسها من جديد: «مشكلتي كمن يقفز فوق حاجز عالي، فلو تخطيته، عندها سأجد حتماً طريقة للهروب من الجهة الأخرى...» تنهدت ثم تابعت: «لو فقط هناك شخص

يمكنني أن أتحدث معه، شخص يمكنه أن يفهم ما أشعر به!»

وكأنما والدتها ارشدتها إلى الحل، فتذكرت مربيتها التي وحدها يمكنها أن تفهم وضعها المتأرجح، وبحكمة سنواتها الطويلة قد تجد حلاً لها.

فقرّرت قائلة: «سأذهب إلى مربيتي!»

شعرت بعد أن وصلت بأفكارها إلى هذا الحد بأنها لم تعد خائفة كما كانت قبل الآن، وتمكنت من التفكير بوضوح وعقلانية.

رنّت الجرس في طلب الخادمة الجديدة، فكل الخدم الجدد كانوا غرباء عنها، ومن البديهي أنهم لا يهتمون ولا يكترثون لأمرها.

سمعت طرقاً على الباب بعد بعض التأخير وأذنت أوديلا بدخول خادمة متوسطة العمر أخذت تنظر إليها ببرودة.

«هل طلبتني يا سيدتي؟»

أجابت أوديلا: «نعم يا جونز، أردت أن أسألك فيما لو كان أحد هنا قبل أن أخرج مع والدي؟»

«لا أعتقد يا سيدتي...» بدأت تقول الخادمة ثم توقفت عن الكلام. ثم تابعت وكأنها تذكرت: «عدا إذا كانت السيدة ما زالت تحتفظ بالآنسة غيتسي.»

هتفت أوديلا بنوع من الخوف: «الآنسة غيتسي الخيّاطة؟ هل هي ما زالت هنا؟»

«نعم يا سيدتي، لقد وجدنا بأنها ماهرة بخياطة اللينز، كما وأنها قامت ببعض التعديلات بملابس السيدة الكبيرة.»

فطلبت منها أوديلا قائلة: «أطلبي من الآنسة غيتسي أن تأتي لرؤيتي في الحال.»

«حسناً يا سيدتي.»

تركت جونز الغرفة ففكرت أوديلا وقد شعرت ببعض الدفء في قلبها بأن الآنسة غيتسي التي تعرفها منذ نعومة أظفارها، هي من تحتاج إليه في هذه اللحظة.

حضرت الخياطة بعد وقت قصير،لقد تجاوزت الآن الستين من العمر والروماتيزم في ساقيها منعها من التحرك بسرعة كما كانت تفعل من قبل.

ابتسمت الخياطة ببهجة لأوديلا فأسرعت هذه الأخيرة نحوها بلهفة.

صرخت أوديلا بنشوة: «غيتسي! لم تكن لدي أية فكرة بأنك ما زلت هنا!»

فقالت الآنسة غيتسي: «كنت أتمنى أن أراكِ يا سيدتي، لكنني لم أرد أن أتدخل بسرعة وقد عدت لتوك من فلورنسا!»

أدخلتها أوديلا إلى داخل الغرفة وأقفلت الباب قائلة: «اصغي إلي يا غيتسي فأنا أحتاج إلى مساعدتك وأنا في حالة يأس شديد!»

الفصل الثالث

تحرّك القطار من محطة بادينغتون وبداخله أوديلا التي جلست على أحد مقاعده الوثيرة بارتياح تفكر بالأمور التي جرت والتي لا يمكنها أن تأمل بأن تجري بأفضل من ذلك.

فعندما دخلت غيتسي إلى الغرفة، تذكرت أوديلا طفولتها وكيف كانت تهرع إليها لتقبلها.

فقد هتفت أوديلا قائلة لغيتسي: «غيتسي لم أكن أدري بأنك ما زلت في هذا المنزل، فجميع من يخدم فيه الآن غرباء عني.»

أجابت غيتسي: «لقد استبقتني السيدة الكبيرة لأنها وجدتني نافعة، لكنني سررت جداً لرؤيتك يا سيدتي!.»

قالت أوديلا: «كما أنني بحاجة إليك بيأس!» ثم أمسكت بيد غيتسي ومشت وإياها إلى كرسيّين قرب النافذة، وتابعت تقول: «اجلسي الآن، وأخبريني أولاً عن أحوالك.»

أجابت غيتسي: «لقد كبرت سنّاً، وارغب كثيراً في أن أتقاعد، ولكن السيدة الكبيرة قالت بأنني لو فعلت ذلك، لن أحصل على راتب التقاعد.»

بهتت أوديلا من هذا الكلام وتصلبت أعضاؤها وقالت لها مطمئنة: «بالطبع إنك ستنالين راتب التقاعد! كما أنه يمكنك أن تتقاعدي في الحال إن اردت، وسوف أنظر بهذا الأمر بنفسي!»

أدركت أوديلا من النظرة التي ظهرت في عيني غيتسي، بأن هذه الأخيرة تعرف بأن سيدتها ثرية الآن فقالت أوديلا:

«أعتقد بأنك سمعت ما قيل بأن والدتي تركت لي بعض المال.»

قالت غيتسي: «لقد سمعتهم يتحدثون عن ذلك في غرفة مدبرة المنزل، وصدقيني إذا قلت لك إنني سرّرت جداً لهذا الخبر!»

فقالت أوديلا: «كما سررت أنا أيضاً! ولكن أمراً آخراً قد حصل والذي يضطرني للذهاب إلى البلدة في الحال.»

توقفت عن الكلام مفكرة للحظات ثم تابعت: «سأكون صريحة معك يا غيتسي وأن أخبرك بأنني أرغب بالهروب وأريدك أن تأتي معي.»

شعرت أوديلا بأن غيتسي فهمت كل شيء من دون أن تشرح لها، فلا شيء يجري ويدور في هذا المنزل دون أن يثرثر عنه في غرفة مدبرة المنزل. ومما لا شك فيه، غرف كل من يخدم في المنزل بأن زوجة والدها عازمة على تزويجها من الفيكونت، كما أنهم يدركون تماماً ما هو مركزه المالي والاجتماعي، لذا لم يكن من الضروري أن تغوص مع غيتسي في تفاصيل تعرفها جيداً.

لكنها قالت بالمقابل: «يجب أن أترك هذا المكان بصورة سرية وإلا قد يمنعني والدي أو زوجته عن تنفيذ ذلك.»

ذعرت غيتسي وقالت: «بصورة سرية! كيف يمكنك يا سيدتي أن تفعلي ذلك؟»

فقالت أوديلا: «سيكون الأمر سهلاً لو أنك ساعدتني في ذلك، لأنني أفهم بأنه غير مستحب أن أسافر بمفردي.»

أجابتها غيتسي: «لا يمكنني حتى أن أفكر بذلك! إنك ما زلت صغيرة جداً على القيام بمثل هذه الأعمال.»

تجاهلت أوديلا كلامها وتابعت تقول: «الذي أريدك أن

تقومي به، هو أن تتسللي إلى الخارج في الصباح الباكر قبل أن يستفيق أحد في هذا المنزل.»

توقفت قليلاً عن الكلام وأخفضت صوتها متابعة: «إنني متأكدة من أن هناك قطاراً من بادينغتون إلى أوكسفورد، سأعرف بطريقة ما موعد انطلاقه.»

أجابتها غيتسي: «عند السيد بينيت جدول بالمواعيد في مكتبه.»

إن السيد بينيت هو السكرتير الخاص للإيرل.

سرّت أوديلا لهذا الكلام وقالت: «إنك حقاً بدأت تتعاونين معي، وسأعلمك بالوقت الذي سنرحل فيه.»

عادت تتوقف من جديد عن الكلام لتتابع وكأنما استقرّ عزمها على رأي ما: «أما الذي أريدك أن تفعلينه، هو أن تخبري كل من في هذا المنزل من خدم بأن قريب لك فاجأه المرض وترغبين في الذهاب إليه بأقصى سرعة وبأنك ستحتاجين إلى عربة لتنقلك إلى المحطة.»

أجابتها غيتسي: «سأفعل ذلك.»

تابعت أوديلا تقول: «وبعد أن تؤمن لك العربة تذهبين فيها ومعك الأمتعة بينما أترك أنا المنزل وأخرج من باب الحديقة، وأريدك أن تقولي للحوذي بأن يتوقف في أعلى نقطة من منقطة ميوز فهناك صديقة بانتظارك.»

عادت تفكر من جديد للحظات قصيرة ثم تابعت: «لن يفكر أحد بأنني أنا الصديقة المعينة إلا بعد فترة متأخرة من النهار، لأن والدي يكون قد عاد وقرأ الرسالة التي تركتها له والتي أبلغه فيها بأنني خرجت من المنزل لألتقي بأصدقاء لي.»

كرّرت ما قالته أخيراً كي تحفظه غيتسي جيداً في رأسها.

ثم قالت غيتسي: «أرجو أن يكون بحوزتك بعض المال يا سيدتي، لأنه لم يُدفع لي راتبي هذا الشهر بعد.»

فقالت أوديلا: «لدي الكثير من المال، ومتى أصبحنا في البلدة، سأقول لمدير العقارات كي يؤمن لك كوخاً على ألا يكون واحداً من الذين يملكهم والدي إن أمكن.»

انتبهت أوديلا فجأة إلى الدموع التي تموج في عيني غيتسي التي قالت: «إنك لطيفة جداً يا سيدتي تماماً مثل والدتك المرحومة من قبلك، لقد كنت شديدة القلق على نفسي وأنا أرى الحالة الصحية التي وصلتُ إليها من الروماتيزم في يدي.»

فقالت أوديلا: «يمكنني أن أعدك بشيء واحد، وهو أنك ستمضين فترة تقاعدك في راحة وأمان ولن تتمكن زوجة والدي أن تفعل شيئاً حيال ذلك.»

لم تستطع أوديلا أن تخفي المرارة في نبرة صوتها فيما قالته أخيراً، كما أن غيتسي لم تظهر دهشتها من ذلك وهي المدركة كل شيء.

وكل ما استطاعت غيتسي قوله: «ستغضب السيدة الكبيرة غضباً شديداً إذا اكتشفت بأنني رحلت معك!»

أجابتها أوديلا: «يكون قد فات الأوان عندما تكتشف ذلك.»

أخذت أوديلا بعد خروج غيتسي من غرفتها تخطّط لكل تحرك ستقوم به في الساعات المقبلة، وكان الوقت قد حان في موعد طعام العشاء عندما اكتشفت زوجة والدها بأنها في المنزل.

أسرعت إلى غرفتها لتقول لها بلهفة كبيرة: «آه، ها أنت هنا يا عزيزتي الصغيرة! لقد تساءلت أين عساك تكونين!»

أجابتها أوديلا: «عندما عدت من الخارج، أبلغوني بأن لديك ضيوفاً، لذا لم أرغب في إزعاجك.»

فقال الكونتيسة بلطف: «هذا لطف كبير منك، ولكن كان من الأفضل أن أعلم بأمر عودتك.»

توقفت للحظات تتظاهر بالتفكير قبل أن تتابع: «ارتدي أجمل فساتينك لهذه الليلة لأننا دعونا بعض الأشخاص إلى حفلة عشاء ولقد خصصت لك مكاناً قرب الفيكونت مور الذي أؤكد تماماً بأنه سيعجبك.»

ثم ضحكت إحدى ضحكاتها الرنّانة وتابعت تقول: «أعتقد بأنه معجب بالجياد الأصيلة مثلك تماماً يا عزيزتي!»

لم تجب أوديلا بكلمة واحدة، وخرجت زوجة والدها من الغرفة إلى شؤونها الخاصة.

قرّرت أوديلا ولأن تعاند رأي زوجة والدها، أن تختار أبشع فستان عندها لترتديه، لكن لسوء الحظ، كل الثياب التي اشترتها من فلورنسا، كانت تدلّ على ذوق رفيع، وكل ثوب يعتبر أجمل من الآخر.

لكنها قالت لنفسها أخيراً، بأنها إذا أرادت أن تتصرف كما يُتوقع منها، فعليها في الحال، أن تبدو جميلة وأن لا تتفوّه بأي شيء كي تتمكن في النهاية من تنفيذ خطتها.

توجهت بعد ذلك إلى قاعة الاستقبال قبل موعد العشاء، وجدت زوجة والدها تغرق بالجواهر المتلألئة وتبدو في غاية الأناقة والجاذبية.

فتذكرت أوديلا قول إحدى الفتيات في مدرسة فلورنسا:

«يقول والدي دائماً بأن المرأة تبدو في غاية الأناقة والجمال عادة عندما تكون مغرمة بأحد ما.»

تألمت أوديلا لأنها تدرك بأن هذه طبيعة زوجة والدها، وإنما كل هذا الحب ليس له وحده.

وعندما دخل الفيكونت إلى الغرفة، أدركت أوديلا بأنه رجل لا يمكنها أن تبادله أيه عاطفة أو مودة.

من يراه يقرّ بأنه وسيم بهي الطلعة ولكنه يدرك أيضاً بأنه عديم النفع. وتأكد لأوديلا بأنه من المستحيل أن يخوض عالم السياسة الشائك، ولا أن يناضل للقيام بأي شيء إيجابي في حياته، عدا أن يغرم بزوجات الآخرين بالطبع!

كما أنها أدركت بأن الفيكونت يتصرف معها بطريقة محببة ومرضية حسب تعليمات زوجة والدها، ولكنه كلما سنحت له الفرصة يسترق النظر إليها بشوق وإعجاب.

وتساءلت فيما لو لاحظ والدها تلك النظرات المتبادلة بين زوجته والفيكونت، لكنها تذكرت ما قرأته مرة، بأن الزوج دائماً آخر من يعلم، وبأنه ما لا يصدقه عادة، إن المرأة التي يثق بها هي في الواقع غير صادقة معه.

حوّلت نظرها إلى والدها فوجدته في غاية السعادة، وأدركت أن سبب سعادته هي في ان المرأتين اللتين تجلسان من حوله، ليستا فقط جميلتين بل في غاية الذكاء. كانتا تجعلانه يضحك بسرور ويتصرف بمرح كما كان يتصرف أيام كانت والدتها حيّة ترزق.

فقالت في نفسها: لا أتصوّر أن أكون السبب في تعاسته وأخبره بالذي يجري وراء ظهره. لأن في ذلك عمل مؤذٍ وقاسي.

وعندما أخلت السيدات غرفة الطعام ليتركن الرجال في أحاديثهم، أسرعت أوديلا بالصعود إلى الطابق العلوي، وهي تؤكد بأن غرفة والدها خالية من أي كان في هذا الوقت وبأن خادم والدها الخاص يساعد الآن بقية الخدم في حفلة الليلة.

دخلت الغرفة وأقفلت الباب وراءها، إنها تعرف أين يُخبىء والدها مفتاح الخزنة الحديدية، كما كانت تعرف والدتها في الماضي، والتي تذكر أنها كانت تساعدها فيما مضى في انتقاء الجواهر التي قد ترتديها في مناسبات كهذه. توجهت إلى المخبأ السري لمفتاح الخزنة لتجده كما تذكره في مكانه السابق، وفتحت الخزنة لتأخذ الأوراق الخاصة بها التي أحضروها من مكتب المحاماة.

وجدت الأوراق موجودة في الرف الأول مع أوراق أخرى تخص والدها، أما الرف الثاني فقد كان مخصصاً للأوراق النقدية.

كان دائماً يُبقي في الخزنة مالاً لأجل الحالات الطارئة، فتناولت مبلغاً كبيراً من المال كذلك بعض الليرات الذهبية، ثم أقفلت الخزنة بعد ذلك وأعادت المفتاح إلى مكانه، وأسرعت بالخروج إلى غرفتها.

كانت النساء المدعوات في هذه الأثناء يصلحن من شأنهن في غرفة والدتها، فمشت بسرعة تهبط السلالم إلى الطابق الأرضي ومنه إلى قاعة الاستقبال قبل عودتهن إليها.

وعندما انتهى الجميع من تناول طعام العشاء، جاء الفيكونت إليها تنفيذاً لأوامر زوجة والدها.

حاول أن يجرها إلى أحاديث تدور حول الجياد الأصيلة،

فتجاوبت معه بضعة دقائق ثم نهضت لتتوجه إلى مكان البيانو قائلة: «إنني متأكدة بأن الجميع ستنشرح صدورهم لو أنني عزفت قليلاً على البيانو.»

وبعد أن انتهت من العزف، أخبرها والدها كم أنه سرّ بعزفها البديع.

فأجابته أوديلا: «انه أمر عائد لك يا والدي، فلقد أوقفت لي في فلورنسا أمهر المعلمين لكي يعلمونني فن العزف على البيانو.»

ابتسم والدها وقال: «أعتقد بأنني محق في صرف أموالي على فتاة مبدعة مثلك تستحقها، ولكن الآن أعتقد بأنه من واجبك أن تكلمي ضيوفك.»

«أودّ أن تسمع مني مقطوعتين كنت قد تعلمتهما في فلورنسا.» وافقها والدها ولم يحاول أن يمنعها.

وبعد انتهاء هذه الحفلة، ذهبت إلى غرفتها بسرعة وهي تدرك بأن لديها الكثير من الأمور للقيام بها في اللحظات المقبلة.

تمكنت غيتسي في تلك الأثناء أن تحضر إلى غرفتها صندوقاً صغيراً لم يكن ثقيل الوزن، وكانت قد أخفته في إحدى الخزائن، فوضعت أوديلا فيه أفضل ملابسها وبالطبع ملابس ركوب الخيل.

وبعد أن أوت زوجة والدها إلى الفراش، سمعت أوديلا طرقاً على باب غرفتها، ففتحت أوديلا لتجد أحد الخدم يقف بأدب قائلاً: «قالت لي الآنسة غيتسي بأنك يا سيدتي تركت لها صندوقاً صغيراً فيه أشياء ما عدت تريدينها.»

أجابته أوديلا بصوت منخفض: «نعم هذا صحيح

والصندوق جاهز الآن، لكنني لم أكن أعلم بأن الآنسة غيتسي تريدهم هذه الليلة.»

أجابها الخادم: «إن الآنسة غيتسي ترغب بالرحيل في صباح الغد، لأنها سمعت أنباء غير سارة.»

فقال أوديلا: «إنني حقاً آسفة لذلك، إنما يسعدني بأنني جهّزت لها هذه الملابس قبل رحيلها.»

حمل الخادم الصندوق وابتعد عن غرفة أوديلا التي خلعت ملابسها وأخلدت إلى النوم.

لقد اعتادت أن تستفيق باكراً، لأن التلاميذ أمثالها في فلورنسا، كانت تبدأ دروسهم في تمام الساعة السابعة من صباح كل يوم، لذا فقد كان يتوجب عليها أن تكون مستعدة وحاضرة منذ الساعة السادسة إلا ربعاً.

عرفت قبل الآن عن جدول السفر الموجود في مكتب سكرتير والدها، بأن هناك قطاراً سيقوم في الساعة السادسة والنصف، وتمكنت من أن تصل إلى المحطة في الموعد المحدّد بعد أن ركبت العربة التي أقلتها من منطقة ميوز برفقة غيتسي.

وكانت قد كتبت رسالة إلى والدها ووضعتها في غرفة مكتبه وهي تعلم بأنه لن يتوجه إلى هناك قبل أن ينتهي من تناول فطور الصباح.

وقد جاء في رسالتها:

والدي العزيز،

لقد ذهلت بل صعقت من هذه الثروة الطائلة التي عرفت بأمرها البارحة، وشعرت بأنني احتاج إلى الانفراد للتفكير باستعمالها.

www.rewity.com/vb

أعرف بأنك ستفهم وتقدّر موقفي، وبأنني لن أتمكن من التفكير فيها في لندن حيث تنتظرني مواعيد وارتباطات كثيرة. لذا، فأنا سأذهب إلى البلدة لبضعة أيام حيث يمكنني أن أمتطي جوادي دراغونفلي وأن أفكر بكافة الأمور المستجدة بطريقتي الخاصة.

أعرف بأنك لا توافق على سفري هذا بمفردي، لذلك طلبت من الآنسة غيتسي أن ترافقني. كما أنني استعرت مالاً من الخزينة، وبالطبع سوف أعيدها لك!!!!

أضافت أوديلا عدة علامات من التعجب في آخر الجملة لكي يعرف والدها بأنها تمازحه.

ثم أضافت على رسالتها:

أحبك يا والدي كثيراً، وأريد أن أنفق هذه الثروة تماماً كما أردت أنت ووالدتي أن تنفقانها، لكن مع ذلك، أرغب بأن أفكر بهذا الأمر بمفردي.

أرجوك ألا تغضب مني ودعني لبعض الوقت بعيدة عن الجميع.

ابنتك المحبة أوديلا

كانت تدرك بأن والدها سيتفهم الأمر، وفي الوقت نفسه، أدركت ان زوجته لن تتفهمه أبداً.

وقالت في نفسها: ستحاول أن تعيدني، وأعود من جديد لأكون تحت سيطرتها.

لقد أنبأتها غريزتها الليلة الماضية كم أن هذا الوضع الذي يحيطها خطير ومخيف. يكفي لها أن تتوجس خوفاً عندما ترى أن كل شيء في هذا المنزل قد حدثت فيه

تغييرات كثيرة وغابت عنه ألفة السنين الماضية، فخلف كل تغيير طرأ عليه هناك شخصية قوية ومسيطرة.

لم يكن هناك شيء لطيف ورقيق يتعلق بزوجة والدها بالرغم من تصرفاتها لإيهام الجميع بأنها كذلك. إنها امرأة عنيدة ولها طرقها الخاصة لتحقق مآربها، ولا يهمها ولا يرمش لها جفن إن كانت تسبب الأذى للغير من أجل تحقيق مآربها اللئيمة.

وفكرت أوديلا: لقد وافقها الفيكونت على كل ما اقترحته عليه، وإذا لم أكن متيقظة، سأستفيق في ذات يوم لأرى نفسي متزوجة منه دون أن أدري.

أفاقتها غيتسي من أفكارها قائلة: «تبدين قلقة يا سيدتي.»

أجابت أوديلا: «إنني في الحقيقة سعيدة لتمكننا من الفرار بهذه السهولة.»

لقد هانت عليهما عملية الفرار لأنهما خرجتا باكراً كما أن زوجة والدتها لا تستفيق عادة قبل الساعة العاشرة صباحاً.

عندما وصلتا إلى أكسفورد، لم تجدا أية صعوبة في إيجاد عربة تنقلهما إلى شالفورد هول التي تبعد خمسة أميال فقط، والتي تقع في أطراف البلدة.

بدأت أوديلا تشعر بالارتياح عندما انطلقت العربة بهم في شوارع تلك المدينة الرائعة بأبراجها ومبانيها، إنها بريطانيا التي عرفتها والتي أحبتها بغاباتها وتلالها وأنهارها المتدفقة.

وحالما وصلت بهما العربة ووقفت أمام شالفورد هول،

www.rewity.com/vb بلا عنوان

قفزت أوديلا منها، ثم أسرعت تصعد الأدراج القليلة لتطرق على الباب الضخم.

مدّت يدها تصافح الخادم الذي فتح الباب والذي التحق في هذا المنزل منذ ان كان صبياً يافعاً وقالت: «جايمس! لقد كنت أتمنى أن أجدك هنا!»

أجابها الخادم ببهجة وسرور: «أهلاً بسيدتي، لقد سمعت بأمر عودتك إلى بريطانيا!»

قالت أوديتا: «نعم لقد عدت، والآن عدت إلى منزلي الأساسي!»

كرّرت نفس الكلام للحاجب الذي أسرع من الداخل لاستقبالها وهو يقول: «كنا نتساءل متى قد نراكِ من جديد يا سيدتي، واعتقدنا بأنك ستكونين منهمكة مع الجميع في لندن فلا يسعك أن تفكري بنا.»

فأجابته أوديلا: «كل ما كنت أريده أنا، هو أن أعود إلى منزلي!»

لكنها لم تضيع الوقت بالثرثرة أكثر، فتركت الحاجب يدفع أجرة الحوذي الذي أوصلهما واهتمت بأمر غيتسي ثم أسرعت تجري نحو الإسطبل.

استقبلها سائسي الخيل بالترحاب الشديد، لكن الذي كانت تريد رؤيته والاطمئنان عليه، كان حصانها دراغونفلي، فأخذ يصهل بمجرد ان سمع صوتها، وبعد ثوان، فتحت باب الإسطبل وأحاطته بذراعيها. صرخت أوديلا بفرح: «لقد اشتقت إليك، لقد اشتقت إليك كثيراً! آه يا دراغونفلي، هل كانوا يعتنون بك جيداً في فترة غيابي عنك؟ هل ما زلت تذكرني؟»

من الواضح أنه ما زال يذكرها، فقد بدا مبتهجاً لرؤيتها

كما هي مبتهجة لرؤيته، فطلبت أوديلا من السائس أن يسرجه لها ويحضره في خلال ساعة كي تمتطيه كما الأيام السابقة.

تنحى آبي المسؤول الأول عن الإسطبل جانباً، إنه هو أول من علّمها ركوب الخيل عندما كانت طفلة، ثم طلبت منه المساعدة، لكنه وعندما فهم السبب من تلك المساعدة، بان على وجهه القلق الشديد.

وقد قالت له: «لقد هربت من لندن يا آبي، كما وانني أريد التخفي لبعض الوقت كي لا يعرف أحد بمكان وجودي.»

فسألها: «لكن لماذا تريدين أن تفعلي شيئاً كهذا يا سيدتي؟ ألا تدركين بأن ذلك سيغضب السيدة الكبيرة؟»

أجابته أوديلا: «أدرك ذلك تماماً، لكنه أمر يحتم علي أن أقوم به، كما انني سأحتاج لمساعدتك لأنفذه.»

أعتقدت بأنه سيكون صعب المراس، لكنه قال: «إذا كنت تريدين الحقيقة، إن السيدة الكبيرة تريدني أن أتزوج من فتاة لا أحبها والتي ستجعلني غير سعيد!»

أدركت أوديلا من ملامح وجهه بأنه يكره زوجة والدها، بينما تابع: «كما أنه ليس من العدل غيابك الطويل إلى بلاد غريبة والسيدة الكبيرة تتحكم بنا!»

فقالت أوديلا: «أعرف يا آبي، لكنك تدرك تماماً نوعية السيدة الكبيرة، فهي لا تصغي إلى أي شيء أقوله.»

انزعج آبي من هذا الكلام وقال: «ما الذي تريدين مني أن أفعله يا سيدتي؟ لقد عرفتك منذ كنت طفلة، ولن أسمح لنفسي بأن تكوني تعيسة ولتقطع مني ساقي قبل أن يحصل ذلك!»

فقالت أوديلا: «سأكون تعيسة جداً لو أنني فعلت ما تطلبه مني السيدة الكبيرة.»

www.rewity.com/vb

بعد كلامها ذلك، وافق على أن يساعدها في أي شيء قد تطلبه منه، وأخذها بنفسه إلى حيث تسكن مربيتها الآن واعداً إياها بأنه لو سُئل عنها فإنه سيجيب بأن لا فكرة لديه عن مكان وجودها.

عندها قالت أوديلا: «أكره أن أطلب منك الكذب يا آبي، لكنه سيمر وقت لا بأس به قبل أن تطلب السيدة الكبيرة عودتي بإلحاح إلى لندن، وإلى ذلك الحين تكون الأمور قد تغيرت.» تنهدت قبل أن تتابع: «لكنني يجب أن أختبىء في مكان ما، وأعرف بأنني سأكون بأمان مع مربيتي.»

فقال آبي بثقة: «بالطبع ستكونين بأمان معها، وسأقوم بما تطلبينه مني يا سيدتي، لكن متى عرف سيدي الإيرل بالحقيقة، فإنه قد يعطيني إنذاراً.»

فأجابته أوديلا بحماس: «لو فعل ذلك حقاً، أقسم لك بأنني سأوظفك بنفسي في إسطبلي الجديد.»

رأت ملامح الدهشة والاستغراب على وجه آبي بعد كلامها الأخير له، إنه من المؤكد، لم تصل إليه أخبار الثروة التي هبطت عليها فجأة، لذا اضطرت أن تقول له بعضاً من الحقيقة: «لقد علمت عندما عدت إلى بريطانيا، بأن والدتي تركت لي بعضاً من المال، لذا أعدك يا آبي بأن كل من خدمنا عندما كانت والدتي ما زالت على قيد الحياة، بأنه لا حاجة لهم للقلق بمصير مستقبلهم، أو أن يكونوا بلا عمل أو مال.»

لازم آبي الصمت بينما تابعت أوديلا: «لكن أرجوك ألا تتكلم بهذا الأمر، مع أنني أعرف ومن دون أدنى شك، بأنك سوف تسمع بكل شيء لاحقاً.»

أكّد آبي لها: «يمكنك الوثوق بي يا سيدتي.»

عادت أوديلا إلى المنزل بعد أن انتهت من كلامها معه، ووجدت أن طعام الغداء أصبح جاهزاً، فقال لها الحاجب بأنها فاجأتهم بقدومها، وسوف يحضرون وجبة أفضل عند العشاء. ومما قاله أيضاً: «السيدة بانك تريد أن تقول لك بأنها قامت بأفضل ما يمكن في هذا الوقت الضيق.»

حضر العديد من الناس لرؤيتها، لذلك قرّرت أوديلا أنه قد يكون من الخطأ في أن تذهب إلى مربيتها الآن، وعليها أن تتريث لصباح الغد.

إنها تعرف تماماً عنوانها، لأن مربيتها كانت دائماً ترسل لها رسائل من فلورنسا وتخبرها عن أحوالها وكيف في البداية وبعد أن صرفتها زوجة والدها، عملت مربية في منزل أحد السفراء وبأنها ليست سعيدة بالبقاء في لندن. لكن وبعد مضي ستة أشهر تركت العمل في منزل السفير، ذلك لأن شقيقة مركيز ترانكومب طلبت منها رعاية ابنتها الصغيرة في فترة سفرها مع زوجها إلى الخارج. أما منزل مركيز ترانكومب، يقع على بعد ستة أميال عن شالفورد هول أي منزلها في هذه البلدة. فتصوّرت أوديلا مدى ابتهاج وسعادة مربيتها لعودتها إلى البلدة التي عاشت فيها معظم سنوات عمرها.

لا تذكر أوديلا بوضوح تام المركيز الأخير عندما كان قد أصبح رجلاً عجوزاً. لقد كان صديقاً لوالدها ولوالدتها، وتذكر كم كانوا يأتون على سيرته في معظم الأحيان.

إنها تذكر مرة حين كانت صغيرة السن، بأنها دعيت إلى حفلة تخص الأطفال في كومب كورت، كما أنها تذكر أن المركيز الابن وقتها لم يكن هناك.

لقد كتبت لها مرة مربيتها تصف لها منزل كومب كورت، وكم هو مريح ويؤثر في النفوس وبأنه المكان الذي تريده تماماً بعد صرفها من شالفورد هول. ومما جاء في رسالتها:

... أرغب بأن أبقي هذه الفتاة الصغيرة لنفسي دون أن يتدخل أحد في تربيتي لها لأنها تذكرني بك وبعذوبتك عندما كنت في سنها.

قالت أوديلا لآبي: «سنذهب إلى مربيتي في الصباح الباكر، ولا أحد سواك يجب أن يعرف بما ننوي القيام به.»

وبما أنهما اختارا ركوب الخيل للوصول إلى مربيتها، وضعت أوديلا ما تحتاج إليه من ملابس في جيوب سرج الجواد التي أحضرها آبي لها كي توضب فيها ما تريده. وحرصت على ألا يشاهدها أحد وهي تنقل السرج إلى الطابق العلوي، وكانت جيوب هذا السرج من النوع الواسع الذي يتسع لأشياء عديدة، حتى انها تمكنت من أن تضع فيها كل ما أحضرته معها من لندن. ووضعت رسم والدتها الصغير بعناية في جيب السرج وهو الذي تعتبره أثمن لها من كل الثروة التي حصلت عليها.

الشيء الوحيد الذي سهّل عليها الأمر في صعودها بالسرج ونزولها به بعد أن حزمت فيه أغراضها، هو أن خدم شالفورد هول كانوا كبار السن ولا يمكنهم أن ينتبهوا إلى كل ما تفعله. أما الخدم الأصغر سناً والذين كانوا يخدمون في هذا المكان، نُقلوا إلى لندن بناء على طلب زوجة والدها، إنهم قد يعودون إلى هنا مرة أخرى ولكن ذلك يتوقف أيضاً على زوجة والدها.

خرجت بالسرج إلى طرف الحديقة ووضعته هناك إلى أن يأتي آبي ويأخذه. وعند الصباح الباكر، تناولت فطورها، ثم قالت للخدم الذين يقومون على خدمتها بأنها ستخرج للنزهة على متن صهوة حصانها.

لم يدهشهم الأمر عندما ذهبت بنفسها إلى الإسطبل بدلاً من أن يأتي لها السائس بالحصان حتى باب المنزل، لأنهم كانوا قد اعتادوا عليها تفعل ذلك بنفسها قبل الآن، ثم خرجت مع آبي من الباب الخلفي للحديقة.

شاهدهما اثنان من صبيان الإسطبل، لكنهما لم يجرآ على طرح أية أسئلة لرئيسهم آبي الذي كان يمتطي حصاناً كبيراً يقدر أن يحمل أمتعة عديدة مهما بلغ وزنها.

وعندما ابتعدا مسافة لا بأس بها عن شالفورد هول، هتفت أوديلا قائلة: «من المفرح أن أعود إلى هنا! لساني يعجز عن التعبير لك كم كنت مستوحشة ومشتاقة للعودة إلى هنا.»

أجابها آبي: «ولقد اشتقنا لك نحن أيضاً يا سيدتي، فالأمور لم تكن كما كانت من دونك وأنت كنت تأتين إلى الإسطبل يومياً!»

«والآن ها أنا أمتطي حصاني دراغونفلي مرة أخرى!»

فكرت وهي تقول ذلك بأنها ترغب أن تبقى عليه حتى تصل به إلى الأفق وأن لا تعود أبداً، وعند ذلك لن يكون هناك مشاكل، ولا فيكونت ينتظرها ليضحك عليها. ولا زوجة والد مثل زوجة والدها تفتعل المشاكل، وقالت بصوت عالٍ: «هل سمعت شيئاً عن مربيتي منذ أن حلّت في كومب كورت؟»

أجابها آبي: «لقد تمكنت من الاتصال بالسيدة فيلد التي أبلغتني بأن مربيتك سعيدة هناك.»

أدركت أوديلا أن عليها أن تنذر مربيتها بأن لا تدع السيدة فيلد تعرف من الذي يرافقها.

ثم سألها آبي ببطء: «كم من الوقت قررت المكوث في كومب كورت يا سيدتي؟»

أجابته أوديلا: «لا فكرة لدي حتى الآن، لكن كل ما أريدك أن تفعله، هو أن تقول بأنك لا تدري إلى أين ذهبت عندما تركت المنزل عدا عن أنني قلت لك بأنني سأبقى مع بعض الأصدقاء الذين لا تعرف هويتهم.»

«على أية حال، ومما لا شك فيه، فهناك العديد من الأصدقاء الذين قد يرحبون بك بينهم.»

كانت أوديلا تدرك هذا الشيء إدراكاً تاماً، ومن حسن حظها أن مربيتها ذهبت لتعمل في مكان يملكه شخص لم تلتقِ به قط.

فوالدا ذلك الشخص اللذين كانا يعرفان والديها قد توفيا منذ زمن بعيد. لكن كان بإمكانها أن تتذكر الحفلات في أماكن أخرى حيث لعبت مع أطفال عرفتهم منذ أن بدأت تخطو خطواتها الأولى. وكانت والدتها تعي وتدرك بأن أوديلا طفلة وحيدة لا شقيق ولا شقيقة لها وبأنها يجب أن تلعب وتمرح مع الأطفال الآخرين.

من حسن الحظ أن أكسفورد شاير كانت ذات طبقة اجتماعية رفيعة المقام وفيها عدد لا يستهان به من عائلات الريف النبلاء، ففكرت أوديلا بابتهاج: «فلو أرادت زوجة والدي أن تزور كل من نعرفهم على أمل أن تجدني، فلسوف تنشغل كثيراً وتضيع وقتاً كبيراً!»

لقد أمضيا وقتاً أقل عبر الريف للوصول إلى مركيز

ترانس كومب على صهوة جواديهما، أقل بكثير فيما لو اختارا ركوب عربة للخيل للوصول إليه. ووجدت أوديلا هذه الناحية من الريف أجمل بكثير من ناحية منزلها في شارلفورد هول.

كانت هناك غابات كثيفة تعلو بأشجارها فوق أراضٍ تتموج بالعشب الأخضر، وكان هناك أيضاً المناظر الخلابة لحقول نبتت فيها أجمل شتول أزهار الربيع ومن مختلف الأنواع. أزهار زرّ الذهب، أزهار أذن الفأر ذات اللون الأزرق التي تدلّ على الإخلاص والمودة، كل هذه الأزهار جعلت من الحقول تحفة فنية رائعة وجدتها أوديلا أجمل بكثير من أية لوحة فنية شاهدتها في فلورنسا.

وأرادت أن تصرخ بسعادة على الفراشات والطيور والنحل التي أخذت تحوم حول الأزهار لتقول لهم: «لقد عدت، لقد عدت إلى منزلي!»

وتذكرت أن منزلها الحقيقي في شالفور هول وليس في هذا المكان، لكنها لو بقيت هناك، ستعرف زوجة والدها مكانها فتعيدها إلى لندن وإلى الفيكونت بالذات، وهذه الفكرة العابرة هزّت مفاصلها خوفاً وجزعاً.

لزمت الصمت في الأميال الأخيرة لوصولهما إلى كومب كورت، وبلعت بريقها عندما شاهدت المنزل من البعيد. لقد كانت الشمس تضيء على نوافذه متلألئة جمالاً، بينما ارتفعت أبراجه بعزة وشموخ، فبدا وكأنه قصراً أسطوريّاً أقرب إلى الخيال منه إلى الحقيقة.

ففكرت: «لا عجب أن مربيتي سعيدة في العيش هنا!»

كان عند أسفل القصر سهولاً خضراء تمتد حتى البحيرة

www.rewity.com/vb

أن يجدونني، عندئذ سأضطر إلى الهرب إلى مكان آخر!»

جلست المربية إلى الطاولة من جديد وسألت بحيرة: «ما الذي يدور ويحدث؟ كما أن الذي سمعته منك حتى الآن لا يعجبني بتاتاً!»

«أعرف يا مربيتي، لكنك لا تدركين ما الذي حصل!»

نظرت المربية مطولاً إلى أوديلا ثم قالت: «السبب يعود إلى السيدة الكبيرة على ما أعتقد!»

وافقتها أوديلا على الفور قائلة: «نعم، إن الأمر يتعلق بالسيدة الكبيرة، لقد قرّرت بما انني ورثت عن والدتي ثروة كبيرة، بأن تزوجني من الفيكونت مور!»

حدّقت المربية فيها وقالت غير مصدقة: «لا أصدق ذلك!»

«إنها الحقيقة يا مربيتي، لقد سمعتهما يتكلمان بذلك عبر الباب الذي يتصل بغرفة والدي عندما كنت في داخلها، وتعرفين ما هي نوعية زوجة والدي متى تشبثت برأيها على أمر ما!»

قالت المربية: «أعرفها بالفعل!»

«لذا أدركت أنه عليّ أن أسرع بالمجيء إليك، لأنك الإنسانة الوحيدة التي يمكنها مساعدتي، ولو أنني بقيت في لندن، سأجد نفسي متزوجة من الفيكونت في وقت قصير دون إرادتي.»

قالت المربية عند ذلك وكأنها تحاول أن تفهم القصة أكثر: «إذاً لقد سمعت بنفسك ما كانت تقوله السيدة وتخطّط له، وبعدها هربت من المنزل.»

«لقد تركت المنزل مع غيتسي في الصباح الباكر من يوم أمس، ثم استقليت قطار السادسة والنصف من محطة

أوكسفورد، وبقيت في شالفورد هول ليلة أمس وأقنعت آبي أن يأتي معي إليك، ولقد وعدني وأقسم لي بأنه لن يخبر أحداً بمكان وجودي.»

فقالت المربية: «بإمكانك الوثوق بالسيد آبي.»

«نعم أعرف ذلك، كما ان كل أمتعتي في جيوب سرج الجواد.»

«على أية حال، من الأفضل أن ننقل أمتعتك إلى هنا، ولكن، هل هذا كل شيء؟»

«لقد قلت لآبي عندما كان يؤمن لدراغونفلي مكاناً في الإسطبل، بأن يقول بأنني قريبة لك وادعى الآنسة وست.»

أجابت المربية: «على الأرجح فإن الناس سيصدقون ذلك، لأنهم عادة يصدقون أي شيء.»

فقالت أوديلا: «يجب أن يصدقوا هذا الأمر. آه يا مربيتي العزيزة يجب أن تساعديني! كيف يمكنني أن أتزوج من رجل معجب بزوجة والدتي؟»

لم تجب المربية، فأدركت أوديلا بأنها كانت على علم بالعلاقة القائمة بين زوجة والدها والفيكونت، عندها قالت متهمة: «إنك لم تذكري لي شيئاً من ذلك في رسائلك إلي!»

أجابت المربية بشيء من القسوة: «لا يليق بك أن تعرفي أموراً كهذه! كما أن في ذلك إهانة كبيرة لذكرى والدتك.»

وافقتها أوديلا على الفور: «بالطبع إنها إهانة! لكنني لم أستطع أخبار والدي على هذا الأمر، فهل أخطأت في ذلك؟»

أجابتها المربية: «لا لم تخطئي في عدم أخبار والدك، كما وأنه أمر كان من الأفضل عدم معرفتك به.»

«لقد سمعت زوجة والدي تقول للفيكونت أيضاً، بأنه متى تزوج مني، سيحكم السيطرة على ثروتي، ووالدي وبما أنه

كان صديقاً لوالد الفيكونت، لن يعتقد أبداً بأنه يلاحقني من أجل هذه الثروة.»

سألتها المربية: «عن أية ثروة تتكلمين.»

أدركت أوديلا أن الأقاويل والأحاديث لم تصل إلى كومب كورت بعد، فأخبرتها بميراث والدتها وكيف ستقوم بكل الأشياء التي كانت ستقوم بها لو بقيت على قيد الحياة، هذا عدا، إذا منعها الرجل الذي قد تتزوجه.

ثم تساءلت أوديلا قائلة: «لما عليّ أن أتزوج من أي كان، وخاصة عندما يكون ذلك الرجل صديق زوجة والدي؟»

فقالت المربية معلّقة: «وهل تعتقدين ذلك صداقة؟ إنها ليست كما تفكرين واخرجي هذه الفكرة من رأسك.»

نظرت أوديلا إليها بتساؤل وتابعت المربية: «إن الصداقة الحقيقية هي في التي كانت تجمع وتربط بين والدك ووالدتك، وتذكري يا عزيزتي، إن أي شيء قد يصدر من هذه المرأة، هي أعمال كريهة وشريرة!»

لم تسمع أوديلا ولا مرة مربيتها تتكلم بهذا الحقد والوحشية، فقالت لها: «إنك على حق يا مربيتي، كما انني أدركت بأن هناك شيء غريب يحدث لحظة دخولي إلى المنزل، وأعتقد أنه طالما لم يكتشف والدي أساليبها الملتوية والحاقدة، فهو سعيد وفرح بها.»

تنهدت المربية دون أن تتفوّه بكلمة واحدة فتابعت أوديلا: «أعتقد أنه كان ينبغي عليك أن تحذّريني منها!»

أقرّت المربية قائلة: «لقد فكرت في هذا الأمر، ولكنني فكرت بأن هذا ليس من شأني، كما انني لم أعتقد بأنه سيصبح من شأنك أيضاً.»

فقالت أوديلا متوسلة: «لكنه حقاً أصبح من شأني، فأرجوك يا مربيتي أن تدعيني أبقى معك.»

أجابتها المربية بحنان بالغ: «بالطبع يمكنك أن تبقي يا صغيرتي، لكن إلى متى؟ فلا يمكنك أن تمضي بقية عمرك هنا، كما أنه وفي أية حال لا يحق لك ذلك.»

سألتها أوديلا: «ماذا تعنين من ذلك.»

أجابتها المربية: «سيد هذا القصر رجل عازب، فلو شاع الخبر بأنك تعيشين تحت سقف منزله دون وصيفة، ستطالك سمعة سيئة، وهذا أمر لا يمكن لوالدتك أن توافق عليه لو كانت ما تزال على قيد الحياة!»

«لكن... إلى أين يمكنني أن أذهب يا مربيتي؟»

أجابت المربية باهتمام: «يجب أن نفكر بروية في هذا الأمر، يمكنك لبعض الوقت أن تبقي هنا، لأن سيد القصر بعيد عنه الآن، ولن يكون هناك مشكلة لو أنه يشاع بين خدم القصر بأنك قريبة لي... مع أنني أتوقع مشاكل قريبة تلوح من الأفق!»

ضحكت أوديلا من كلام مربيتها الأخير والتي تعهدها دائماً متوجسة وحذرة، ثم قالت: «لا يهمني شيء طالما أنني معك يا مربيتي. وهذا كان كل ما كنت أتمناه وأنا بعيدة عنك.»

رأت الحنان في عيني المربية حين قالت: «لقد إشتقت إليك أنا أيضاً يا عزيزتي أكثر مما تتصورين، لكنني أشعر بارتياح أكبر هنا، كما أن الصغيرة بيتي التي أقوم برعايتها، طيبة جداً.» ثم انحنت قليلاً لتحمل الصغيرة بين ذراعيها متابعة: «أليست صغيرتي جميلة؟»

نظرت أوديلا إلى الصغيرة ورأت كم أنها طفلة جميلة لكنها وفي الوقت نفسه نحيلة وضعيفة.

وكأنما قرأت المربية ما يجول في فكر أوديلا فقالت: «ضعف الصغيرة منع السيدة الكبيرة من إصطحابها لأنها وزوجها كانا مضطران للسفر من بلد لآخر؟» ثم ابتسمت إلى الطفلة بحنو وتابعت: «لقد أرسل السيد والدها في مهمة خاصة إلى الهند وسنغافورة ولا أدري كم وكم من البلدان الأخرى، وسيضطران للتغيب لأكثر من سنة.»

فقالت أوديلا: «على العموم فبيتي محظوظة للغاية لأنك أنت من تعتنين بها.»

«هذا ما قالته السيدة والدتها، كما أنها تذكر والدتك وتذكرك حتى أنتِ عندما كنت صغيرة السن.»

أجابت أوديلا: «لكنني لا أذكرها أبداً.»

فسألتها المربية: «وكيف يمكنك ذلك؟ لقد تزوجت عندما كنت طفلة صغيرة وقد قتل زوجها الأول في رحلة للصيد.»

فسألتها أوديلا: «ولم تنجب أولاداً؟»

«ليس من زوجها الأول، بل من زوجها الثاني وأنجبت هذه الصغيرة بيتي، لكنها تأمل أن يكون مولودها التالي ولداً.»

خيّم صمت وجيز قبل أن تسأل أوديلا: «لو أنني تزوجت يا مربيتي، أو حتى إن لم أتزوج وأعيش في منزلي، فهل تعديني بأن تأتي إلي؟»

أجابت المربية: «لو تزوجت حقاً، فأنا لن أذهب إلى أي مكان آخر حتى ولو أعطوني مليون جنيهاً! لكنني لن أذهب إلى أي منزل تكون فيه زوجة والدك، خاصة بعد معاملتها لي بتلك القسوة وطردي من المنزل وكأنني حشرة كريهة!»

كان في نبرة صوت المربية سخط ونقمة، فأسرعت أوديلا تنهض من مكانها لتضم مربيتها إلى صدرها قائلة:

«إن الذي علينا فعله، هو أن نبتعد قدر الإمكان عن اللقاء بزوجة والدي، إنك تفهمين دون شك يا مربيتي بأنني لا أستطيع العودة إليها لأجد نفسي فريسة لمخالبها.»

«بالطبع لا تستطيعين ذلك يا عزيزتي، كما أنها لن تزوجك من هذا الرجل طالما انني ما زلت على قيد الحياة!»

قبلتها أوديلا بامتنان وقالت: «هذا ما أردت أن أسمعه منك يا مربيتي، والآن لم أعد أشعر بأي نوع من الخوف طالما أنت إلى جانبي. لذا هلا طلبت بجلب أمتعتي من الإسطبل؟» وأخذت الطفلة بيتي منها متابعة: «سأعتني ببيتي وسأقول لها بأنها الأكثر حظاً في العالم لأنكِ أنتِ مربيتها!»

فقالت المربية: «والآن توقفي عن هذه الثرثرة بالمجاملة، ودعيني أوضح لك شيئاً، إنني لا أوافق على ما تفعلينه، ولكنني في الوقت نفسه لا أعرف ما هو أفضل من ذلك لتفعليه.»

ضحكت أوديلا وقالت: «آه يا مربيتي كم أنا أحبك، الآن أشعر فعلاً بأنني عدت إلى منزلي وإلى رعايتك بالذات!»

www.rewity.com/vb

الفصل الرابع

شعرت أوديلا بأن مجيئها إلى كومب كورت لتقضي فيها بضعة أيام هي بمثابة أسعد الأيام في حياتها والتي يمكنها أن تتذكرها على المدى الطويل.

كانت سعيدة لوجودها مع مربيتها من جديد، وقد سنحت لها الظروف أن تقرأ العديد من الكتب الجديدة، والأسعد لها من كل هذا، هو تمكنها من أن تمتطي حصانها المحبوب دراغونفلي.

إنها لم تكن تتصوّر بأنها قد تجد مكتبة عظيمة وكبيرة كمكتبة كومب كورت، والذي جعل لها الأمر أفضل، هو ذهاب المسؤول بعيداً في إجازة. لذا لم يكن هناك من أحد ليتدخل في شؤونها بينما كانت تفتش عن الكتب التي تبغي قراءتها.

كان هناك مكتبة في فلورنسا حيث أنهت تعليمها العالي كما لوالدها مكتبة في منزلها الريفي، إنما هذه المكتبة كانت مختلفة بتنوّع أقسامها.

لقد تأسّست هذه المكتبة في نفس الوقت التي بني فيه هذا القصر في أيام الإيرل الأول ترانكومب، وكانت هناك صورة له معلقة على أحد الجدران، وكل إيرل ناجح أخذ يضيف كتباً قيّمة إلى المكتبة إلى أن تبدّل لقب الوريث التالي إلى لقب مركيز. لم يكن هناك قصصاً تاريخية فقط، بل كتباً قديمة كتبت بيد المؤلفين في ذلك الوقت، منها الكتب السياسية، وكتب تحكي عن رجال الدولة، وعن المهندسين وحتى القصص الروائية للسيد والتر سكوت كانت موجودة

لها كي تقرأها. حتى كان بإمكانها لو أرادت، أن تقرأ النسخة الأولى لحكايات كانتربيري.

فكلما انتهت من تناول الشاي وتذهب مربيتها للاهتمام بشؤون الصغيرة بيتي، تسرع أوديلا إلى المكتبة، كما وانها في كل مرة تدخل إليها، تشعر بأن عليها أن توجّه كلمة شكر للإيرل الذي أسّسها، حتى أنها كانت تقف أمام صورته لتقول له كم كان ذكيّاً وحكيماً. لقد رسم صورته هذه، السيد انطوني فان ديك، أو هذا ما أعتقدته أوديلا بحساب بسيط لأن والدها كان قد أخبرها بأن هذا الرّسام الشهير زار بريطانيا سنة ١٦٢١ في عهد جايمس الأول.

لكنه عندما عاد لزيارة بريطانيا في المرة الثانية، رسم أجمل لوحات شارلز الأول، هذا بالإضافة إلى عدد كبير من أهم الشخصيات في ذلك الوقت.

كان رسم الإيرل يصل إلى خصره ولا يظهره بالكامل، لكن الصورة كانت رائعة تظهر مدى وسامته وتعطيك الشعور بأنه كان رجلاً طويل القامة، لذا ومن دون أي شك ان هذه اللوحة رُسمت بريشة ذلك الفنان المبدع فان ديك.

فسألت أوديلا صاحب الصورة الإيرل: «كيف توصلت إلى التفكير بشيء رائع مثل تأسيس هذه المكتبة؟» فتصورته يغمز لها بعينيه وكأنه استمتع باطرائها ومجاملتها.

ومرة وبينما كانت تمتطي حصانها دراغونفلي في الحقول الخضراء قالت لنفسها بأنها محظوظة جداً لوجودها في مثل هذا المكان.

إنه من الصعب على زوجة والدها أن تجدها حتى لو انها الآن تفتش عنها.

فقالت مربيتها تقطع الصمت بأسف: «لقد قمت بأكاذيب عدة لأجلك يا أوديلا، وإنني من دون شك سوف أحاسب عليها!»

فسألتها أوديلا بتوتر: «ما الذي كذبت به؟»

أجابتها المربية: «لقد قلت للخدم بأنك ابنة شقيقي، وبأن شقيقي يملك إسطبلاً قرب أكسفورد، كي لا يشكوا بأمر حصانك!»

هتفت أوديلا بابتهاج: «كم أنت ذكية يا مربيتي! لقد نسيت أمر دراغونفلي الذي يبدو أصيلاً وقوياً وغالي الثمن لفتاة في سني.»

فعلّقت المربية قائلة: «الكذبة تجرّ الكذبة الأخرى، لكن الذي آمله فيما لو أُشتبه بأمرنا، ان لا يطردوني دون مراجعتي في الأمر!»

ضحكت أوديلا وأحاطت عنق مربيتها بذراعيها قائلة: «إذا طردوكِ كما تقولين، فستأتين إلي، حتى وإن بإمكانك أن تأخذي كل ثروتي وتعيشين كالملكة!»

فقالت المربية بحدّة: «هذا آخر ما أرغب بأن أقوم به!»

لكن أوديلا بالرغم مما قالته المربية، شعرت بأنها راضية وسعيدة بالذي قالته. ولمحت الطيبة التي اعتادت أن تراها في طفولتها على ملامح وجهها مما دعاها لأن تفكر: «لو ان بإمكاني أن أبقى هنا امد طويل!» وشعرت وهي تقترب من ذلك القصر الجميل بأنه يرحّب بعودتها من نزهتها.

نزلت عن الحصان وأعادته إلى الإسطبل سالماً، فأسرع أحد الصبيان عندما شاهدها تفك السرج عنه وقال: «سأقوم

عنك بذلك، يا آنسة وست. لكن الإسطبل ازدحم الآن بالأحصنة بعودة سيد القصر دون إشعار منه!»

كرّرت أوديلا قوله: «سيد القصر؟»

ابتعد الصبي عنها وهي في حيرة من أمرها، ثم أسرعت إلى الداخل من باب المطبخ وإلى الطابق العلوي.

وصلت إلى غرفة المربية وهي تلهث من التعب والخوف وصرخت قائلة: «سمعت بأن المركيز قد عاد!»

أجابتها المربية بهدوء: «هذا ما حصل بالفعل، اجلسي الآن وتناولي الشاي، ولا تنزعجي بهذا الشكل لأنه لن يكترث لأمرك على الإطلاق.»

فقالت أوديلا: «أعرف ذلك، لكنني لا أريده أن يراني.»

أجابتها المربية: «لن يفعل ذلك أيضاً طالما انك تحتاطين للأمر وتبقين هنا في الطابق العلوي؟»

شعرت أوديلا بقشعريرة باردة تسري في عروقها، وذلك لأنها أدركت أن ذلك سيمنعها من التنزه مع دراغونفلي.

كذلك هذا سيمنعها من أن تتجوّل حول القصر كما كانت تفعل في الأيام الثلاث الماضية.

كان هناك الكثير لرؤيته في كومب كورث والتي حسب إعتقادها، قد تحتاج لأسابيع عدة كي تكتشفها إذا لم نقل أشهراً قبل أن ترى حتى النصف منها.

أما الآن، وطالما أن المركيز في قصره، فيجب أن تلازم الطابق العلوي للحضانة.

فسألت مربيتها: «هل ستقام حفلة كبيرة؟»

أجابت المربية: «لا علم لي بذلك، وكلما قلّلت من التفكير بهذه الأمور، كلما كان أفضل وأنسب لك.»

أدركت أوديلا بأن مربيتها متوترة من الطريقة التي تكلمت فيها، مع أنها لم تعترف بذلك. كما أنها أدركت بأنه من الخطأ الكبير في أن يعلم المركيز بأمر وجودها ويبدأ بطرح أسئلته الغير مناسبة.

أنهت أوديلا تناول الشاي ولاعبت الصغيرة بيتي في حين كانت المربية تهيء لها الحمام. لقد كانت فتاة محبوبة لكنها هادئة جداً. وكان يسرها أن تلهو بمفردها أو مع أي شخص يمكنه أن يمنحها بعضاً من الوقت. وبنت لها أوديلا من بعض القطع الخشبية قصراً وكان يسعد الصغيرة أن توقعه لتسمع قرقعة تلك القطع الخشبية، ثم وضعت بيتي في السرير.

كانت أوديلا تجلس مع مربيتها قرب المدفأة بعد أن انتهيا من أمر الصغيرة حين دخلت إحدى الخادمات إلى الغرفة. تسألها: «ألديك أيتها المربية خيطاً يمكنك أن تعطينه لي؟ إن السيدة التي أعتني بأمرها قطعت دون قصد أحد أزرار ثوبها، كما أنني نسيت أن أشتري خيوطاً عندما جاء البائع قبل الآن.»

قالت المربية بينما نهضت لتتوجه إلى سلة الخياطة: «نعم بالطبع.»

علقت الخادمة بالقول: «إن السيد الكبير عنده إلمام في إختيار النساء، ولا أنكر أن السيدة الأخيرة كانت جميلة جداً، انما هذه السيدة التي حضرت معه الآن هي في غاية الروعة والجاذبية.»

كانت المربية في تلك الأثناء تفتش في سلة الخياطة عن الخيط لتعطيه للخادمة، فحوّلت نظرها إلى أوديلا قائلة:

«لقد وضعت في غرفتك بعض المحارم لتغسلينها يا عزيزتي، فالأفضل أن تذهبي لغسلها الآن قبل العشاء.»

ابتسمت أوديلا، فهي تعلم جيداً بأن مربيتها تكره لها في أن تسمع أية ثرثرة ولهذا السبب ابتدعت هذا العذر كي تبعدها عن هذا المكان.

فأجابت أوديلا: «نعم بالطبع يا عمتي، سأقوم بغسلها في الحال.» فكّرت عندما وصلت إلى غرفتها أنها ترغب في أن ترى إختيار المركيز لتتعرف على ذوقه الذي أدهش وأعجب الخادمة بهذه الصورة. كما أن أوديلا اعتقدت بأن هذه السيدة من دون شك امرأة متزوجة، مثل زوجة والدها غير مخلصة لزوجها.

هذه الفكرة التي توصّلت إليها، جعلتها تشعر بالخوف من جديد، لأنها تذكرت بأن لزوجة والدها صديق، أرادت وأحبّت أن يمتلك ثروة أوديلا.

فقالت بينها وبين نفسها باضطراب وثورة: «لا بد أن يكون هناك أحد في العالم محترم ومحتشم ويتمتع بأخلاق عالية.» لكنها عادت وفكرت بأن من يتمتع بمثل هذه الاخلاق هم فقط الذين يعيشون في لندن ويمثلون طبقة المجتمع الراقي والمخملي الذي تستمتع بهم زوجة والدها كثيراً.

كانت والدتها تسعد وتفضل أن تعيش في البلدة، لذا فإن أوديلا لم تشك بشيء غير أخلاقي عندما يضطرهم الأمر في العيش في لندن أحياناً.

وعادت تقول لنفسها: إذا كان هذا ما يفرح المركيز، فإنه لا يستحق أن يملك قصراً جميلاً كهذا!

عندما عادت إلى غرفة الحضانة، كانت الخادمة قد

خرجت منها، وبما انها لا تستطيع أن تخفي فضولها، سألت مربيتها: «هل عرفت من الذي سيبقى هنا؟»

أجابتها المربية: «هناك الإيرل وكونتيسة أفوندال التي تماثله في السن، والسيدة بيتون.»

أدركت أوديلا من الطريقة التي تكلّمت فيها مربيتها أية منهما المتورطة مع المركيز.

فتابعت المربية وكأنها أدركت ما يجول في خاطر أوديلا: «والآن أريد أن تنسي أمرهم، وابقي هنا هادئة معي، فإذا كنت تريدين شيئاً لتشغلي نفسك به، سأعطيك شيئاً تخيطينه. لكنني أفضل لك أن تشغلي نفسك بقراءة تلك الكتب التي أحضرتها من المكتبة.»

ضحكت أوديلا وقالت: «بالطبع يا مربيتي سأفعل ذلك! لكنني أعدك بأنني لن أعرض نفسي لأية مشاكل فأرجوك أن لا تقلقي بشأني.»

«بالطبع أقلق دائماً بشأنك! ثم اعلمي أنه في هذا الوقت والدك وزوجته يتساءلان متى قد تعودين إلى المنزل.»

فقالت أوديلا بسرعة: «إذاً ليبقيا على حالهما من التساؤل، لأنني سأبقى هنا إلى جانبك بأمان وسلام!»

بعد ذلك، ذهبت المربية إلى الفراش، لكنها عندما دخلت أوديلا غرفتها، شعرت بأن زوجة والدها عادت لتهددها من جديد.

فقالت لنفسها: يجب أن أنسى أمرها! وآوت إلى فراشها وبيدها أحد الكتابين اللذين أحضرتهما من المكتبة، فاكتشفت بعد قليل بأن هذا الكتاب واحد من الذين أتت على قراءتهم.

كما وأنها قد أتت على قراءة الكتاب الآخر الذي إلى جانبها، وتذكرت أنها بعد ما عادت من نزهتها، أن تذهب إلى المكتبة لتستبدلهما، كما كانت تفعل في الأيام السابقة، ولو كانت على علم أو معرفة بأن المركيز سيعود، لكانت جلبت عدداً من الكتب إلى غرفتها.

ففكرت بيأس: «قد أبقى أياماً دون أن أقرأ شيئاً.»

تمنت لو أنها سألت الخادمة إلى متى سيبقى المركيز في القصر، لكن من المؤكد جداً أنها لا تعرف شيئاً عن ذلك. تذكرت بأن اليوم هو يوم الجمعة، لذا فان المركيز وضيوفه سيبقون لغاية يوم الاثنين المقبل، وهذا يعني بأنها ستحتجز في غرفة الحضانة يومي السبت والاحد من دون شيء لتفعله.

ففكرت بامتعاض: لن يمكنني أن أحتمل ذلك!

استلقت على سريرها مفكرة بأنه إذا كان هذا الجمع آتٍ من لندن، فإنهم لن يتأخروا كثيراً.

قرّرت أخيراً بينها وبين نفسها: سأنتظر إلى أن يصبح القصر هادئاً وخالياً من الضوضاء، ثم أنزل على السلالم الخلفية إلى المكتبة وأحضر منها ما يمكنني حمله من الكتب.

وأدركت مما رأته في غرف القصر، بأن الجميع على الأرجح سيجلسون في الصالة الزرقاء التي لم تكن واسعة كالصالة الفضية، كما أنها كانت قريبة من غرفة الطعام، بينما تقع المكتبة في نهاية الجهة الأخرى من الطابق الأرضي.

من المؤكد ومن غير محتمل، أن يكون المركيز يفتش عن

كتاب ليقرأه في منتصف هذا الليل، لذا فإنه من المستبعد أن يلاحظها أحد فيما لو تسلّلت إلى المكتبة لتختار عدداً من الكتب.

حملت الكتاب الذي كانت قد قرأته لتجد أنه من الصعب عليها أن تركز على قراءته من جديد، فنهضت من السرير لتتجه إلى النافذة وأزاحت الستائر عنها.

كانت النجوم تملأ السماء لتحوّل المشهد إلى مشهد فضي في غاية الروعة، فبدا لها الكون جميل جداً لدرجة أنها شعرت بأنها تنتقل فيه على جناح الطير، وبأنها في أرض الأحلام وأميرها إلى جانبها دائماً ليجعلها بأمان وسلام كي لا تشعر بالخوف من أي شيء.

فقالت بينها وبين نفسها: لو فقط بإمكاني أن أجد أمير أحلامي وأن نعيش في قصر كهذا، فلن أعود أبداً إلى لندن ولن أتورّط مع أشخاص مثل زوجة والدي.

وانغمست في أحلامها أكثر فأكثر لدرجة أنها شعرت بأن ضوء القمر يجذبها بقوة إليه، فتمنت ان تكون جزءاً لا يتجزأ من هذا الجمال وأن تجد الزوج الذي قد يحبها ويعيش معها حتى آخر العمر.

أسدلت الستائر بعد ذلك بيأس لأنها كانت تدرك بأن مثل هذا الرجاء الذي تنشده لن تحصل عليه بتاتاً فآلمها ذلك وعادت إلى سريرها بخطوات مثقلة.

استغرقت في النوم دون أن تدري، لكنها استفاقت فجأة وقد تذكرت بأنها أرادت أن تذهب إلى المكتبة، فنظرت في الساعة ورأت بأن عقاربها تشير إلى الثالثة بعد منتصف الليل، فمن المؤكد بأنها لن تجد أحداً في طريقها في مثل هذا الوقت.

نهضت من السرير وأضاءت الشمعدان الذي له مسكة يمكنها أن تحمله بواسطته، ثم انتعلت الشبشب، ولم يُسمع لهما صوت بينما أخذت تمشي بهدوء وعلى رؤوس أصابعها إلى خارج الغرفة ثم نزولاً على السلالم إلى الطابق الأرضي حيث كانت المسافة قليلة عبر الممر الذي يؤدي إلى المكتبة.

وجدت أن معظم الشموع في الممر قد أطفئت، لكنه كان هناك ضوء كافٍ لها لتتلمس فيه طريقها بواسطة الشمعدان الذي تحمله بيدها، إنما ستحتاج إليه أكثر في المكتبة الغارقة في الظلام الدامس.

دخلت المكتبة واتجهت رأساً إلى القسم الأخير منها، لأنها كانت تعلم بأن الكتب التي تستمتع بقراءتها موجودة هناك. وعندما اقتربت من رسم الإيرل الأول لهذا القصر، رفعت الشمعدان لتنظر إليه من جديد وتخيلت بأنه يبتسم لها وكأنه يفهم بأنه من الصعب عليها أن تبقى دون كتاب تقرأه، الأمر الذي من الواضح يعني الكثير له وإلا لما كان قد أسّس هذه المكتبة.

وبعد أن ألقت نظرها على رسم الإيرل، مشت إلى القسم الأخير من المكتبة ورفعت الشمعدان كي تتمكن من اختيار الكتب التي تريدها، وبدأت بسحب الكتاب تلو الآخر من على الرفوف.

اختارت أربعة كتب كانت أرادت أن تقرأها كما أرادت أن تبحث عن اثنين آخرين. ثم سمعت صوتاً غريباً وتحيّرت لفترة ما قد عساه أن يكون، وتردّد صدى هذا الصوت مرة أخرى لذا فقد أدركت بأنه صوت تحطم زجاج.

تجمّدت في مكانها تتساءل في نفسها عن الذي يحدث ويدور، ثم استدركت فجأة بأنه في مكان ما من الجهة الأخرى للمكتبة، فُتح زجاج النافذة.

مع أن الأمر يبدو رهيباً ومخيفاً، كان هناك أحدهم يدخل المكتبة من تلك النافذة. وأول ردة فعل عند أوديلا، كان أن تذهب لترى ما الذي يجري. لكنها تذكرت أنه يجب أن لا يُكتشف أمر وجودها في المكتبة وأخذت تبحث عن مكان لتختبىء فيه، فأسرعت تطفىء الشمعدان وتختفي وراء الستائر التي كانت من النوع المخملي الثقيل ذات اللون الأحمر القرمزي.

لما أصبحت خلف الستائر، سطع عليها نور القمر الذي كان يسطع أيضاً على نفس النافذة التي صدرت منها تلك الأصوات في الناحية الأخرى للمكتبة.

في الخارج، كان القمر يسطع كذلك على الشجيرات والأعشاب والأزهار المختلفة الأنواع. وعلى رؤوس أصابعها خطوة خطوة، تحركت إلى جانب الستائر التي غطّت جزءاً من الحائط، ثم ازاحتها قليلاً لتتمكن من أن تسترق النظر إلى داخل المكتبة التي يجب أن تكون الآن غارقة في ظلام دامس بعد أن أطفأت الشمعدان.

لكنها تمكّنت من رؤية رجل قادم من وراء خزانة للكتب والتي اخفت النافذة التي من المفترض قد دخل منها. لقد كان يحمل فانوساً بيده رفعه إلى الأعلى ليتمكن من رؤية طريقه حتى أن نوره أضاء وجهه.

شعرت أوديلا بخوف شديد عندما لاحظت بأنه يخفي وجهه بشالٍ داكن اللون ولا يظهر منه سوى عيناه. فبدون أي

شك، انه ليس سوى لص، فتساءلت بهلع شديد بما عساها أن تفعل حيال ذلك لكن أمر هذا اللص غريب جداً، في حين أن هناك في باقي أرجاء القصر كنوزاً تستحق سرقتها بينما هو يكسر زجاج نافذة المكتبة ويدخل منها.

تناهى إلى رأسها وفكرت بأنه قد يكون خبيراً كبيراً في الكتب، وفي هذه الحالة، لا بدّ وأنه يبحث عن المؤلفات الأولى لشكسبير أو ربما عن الكتب التي تحتوي على روايات كانتيربري. لقد شاهدت هذه الكتب وتعلم بأنها قيمة للغاية.

شاهدته بعد ذلك، يتقدم أكثر في المكتبة وأدركت بذعر بأنه كان يحدّق بالرسم البديع للإيرل الأول. هل هو يا ترى يطمع في أن يسرق تلك اللوحة التي بريشة الفنان فان ديك؟

ولم تستطع أن تصدّق حقيقة ما تراه، ووجدته يضع الفانوس جانباً، فأدركت بأنه حقاً يريد سرقة اللوحة. إنها لوحة قيّمة جداً كما هي كل لوحات الفنان فان ديك.

فقالت أوديلا بينها وبين بنفسها: يجب أن لا أسمح له بسرقة هذه اللوحة التي تخصّ كومب كورت!

رأت بأن يديه متحررتين من أي شيء وقد رفعهما في محاولة لنزع اللوحة عن الحائط، وتبين لها أنه وجدها أثقل بكثير مما كان يتوقع. لقد كان يحاول دفعها إلى الأعلى ليسحبها من المسمار الذي عُلقت به، ثم وبنفاد صبر، نزع الشال عن وجهه ورماه على الأرض، كما أنه خلع أيضاً قبعته ومعطفه ورماهما قرب الشال.

سطع نور الفانوس على وجهه عندما استدار ليكرّر محاولاته في رفع الصورة عن الحائط، فحبست أوديلا

صرخة كادت أن تنطلق منها لأنها تعرفت إلى ذلك الرجل!

إنها في الواقع تعرفه بالشكل والصورة، هذا بالإضافة إلى الشيء الكثير عن تصرفاته. إنه رجل لم يتجاوز الثلاثين من عمره بعد ويدعى فريد كوتر.

كانت والدته أرملة تعيش في بيت صغير يبعد أميال قليلة عن شالفورد منزلها الريفي. وتذكر أوديلا بأنه كان مشكلة كبيرة لمن حوله منذ سنوات طويلة.

كان والده محامياً والذي كان يدفع المال باستمرار كفالة لاخراجه من السجن وهو الفقير المعدم، ولم ينالوا منه خيراً على الإطلاق.

لقد عرف وجهه وظهر في موقع الجريمة، لكن القضاة وقتها صرفوا النظر في القضية لعدم توفر الدلائل.

بإمكان أوديلا أن تذكر بأن والدها كان يقول دائماً: «انه ولد عاق جداً!» كما ان والدتها كانت تقول نفس الشيء وتضيف قائلة: «إن من أتأسف عليه هو السيدة كوتر والدته، لأنه ابنها الوحيد ويسعى دائماً إلى تحطيم قلبها، لكن ومهما تصرف بشقاوة، فهي لن تتوقف عن محبتها له.»

استرقت أوديلا النظر من جديد من خلف الستائر وتساءلت فيما لو عليها أن تواجهه. وكانت على وشك أن تفعل ذلك حين تذكرت شيئاً حدث منذ خمسة أعوام مضت، فقد ضرب مرة فريد رجلاً اكتشف أنه داخل منزله، لقد سبب له جروحاً بالغة لدرجة أن الرجل نُقل إلى المستشفى، ولم يستطع بعد ذلك أن يقدم دليلاً أكيداً ومترابطاً. واستطاع مرة أخرى أن ينفذ من الحكم.

لذا، فليس من شيء بإمكان أوديلا أن تقوم به سوى أن

تراقب فريد كوتر وهو يسحب اللوحة من على الحائط ويضعها على الأرض تستند إلى كرسي. عند ذلك، اعتمر قبعته ولبس معطفه ولفّ الشال حول وجهه، ثم حمل الفانوس بيده اليسرى واللوحة بيده اليمنى.

كانت اللوحة ثقيلة الوزن، لكنه تمكن من حملها ومشي بها ليختفي بعد ذلك وراء خزانة للكتب.

لم تتحرك أوديلا، لأنها كانت ما زالت ترى نور الفانوس المضيء. وسمعت صوتاً واهياً عندما دفع فريد كوتر باللوحة خارج النافذة، فتناهى إلى عقلها أنه من المؤكد هناك رجل في الخارج ليساعده في عملية السرقة، لكن تصورها ذاك لم يكن أكيداً.

تلاشى بعد ذلك نور الفانوس وخيم صمت عميق، لكنها لم تتحرك من مكانها إلى أن تأكدت جيداً بأن فريد كوتر قد ابتعد عن النافذة عندها تمكنت من إخلاء المكان الذي كانت تختبىء فيه، وأبعدت الستائر كي تسنح لنور القمر في الدخول إلى المكتبة، عندها تمكنت من رؤية طريقها ورؤية الحائط الذي خلا من تلك اللوحة القيمة للإيرل الأول.

حدّقت بالحائط وفكرت أنه من بين كافة اللوحات في كومب كورت، كان من الأفضل أن لا تسرق هذه، لأنها كانت القلب النابض للقصر كله، فكيف سمحت له بأن تصير بين يدي سارق مثل فريد؟

وأخذت تتذكر كل ما سرقه في الماضي واعتقدت أنه من المؤكد كانت سرقاته جميعها من الأشياء القيمة والتي لا تقدر بثمن، فهذا يعني بأنه على الاتصال مع سمسار أو تاجر قد يدفع دون مساومة لأي تحفة تقدم إليه.

www.rowity.com

تملكها خوف شديد عندما طرأ على ذهنها بأن رسم الإيرل قد يهرّب إلى خارج البلاد وقد لا يعثر عليه مرة أخرى.

فقالت بينها وبين نفسها: يجب أن أوقفه في الحال!

ووقفت متسمرة في مكانها تفكر بهذه الورطة بينما نور القمر الذي تسلّل إلى الداخل، جعل المكتبة تبدو جميلة كجمال الحديقة، يشوبها شيء واحد، وهو خلو الحائط من اللوحة الرائعة.

عدا إذا قامت بشيء بهذا الخصوص، لأن المكتبة لن تبدو كما كانت عليه دون هذه اللوحة. إن فريد وبأنامله القاسية سرق القلب النابض لكومب كورت.

تساءلت بهلع: «ماذا عساي أن أفعل، ماذا عساي أن أفعل؟» فهي إذا ذهبت مباشرة إلى المركيز واطلعته بالذي حصل، تكون في هذه الحالة تخون نفسها.

كما أنه لو ضُبط فريد، فعليها أن تشهد بالذي حصل أولاً للشرطة، وثانياً للقضاة. وكيف بعد ذلك يمكنها أن تقول بأنها ابنة شقيق مربيتها؟ من المؤكد انها لن تتمكن من الكذب إذا طلب منها القضاء أن تقسم اليمين.

فأخذت تتمتم محتارة يائسة: «ساعديني يا والدتي... ساعديني!»

عندها، وكأنما والدتها أجابتها على طلبها، أدركت ما بوسعها فعله.

فقد كان في نهاية المكتبة بالقرب من النافذة التي دخل منها فريد كوتر، طاولة خصصت للمسؤول عن المكتبة والمتغيب حالياً في إجازة، والتي وظيفته تنحصر في

معرفة توقيت نشر الكتب الجديدة لاحضارها إلى المكتبة، كذلك ليدقق دائماً بأن الكتب المستعارة منها قد أعيدت.

أبعدت أوديلا الستائر الثقيلة عن النافذة، فظهر من جديد نور القمر ليضيء المكتبة أكثر من فانوس أو شمعدان، ثم جلست إلى الطاولة، وكما توقعت وجدت اسم المركيز محفور على القطعة الجلدية التي فوق الطاولة.

وضعت ورقة على الطاولة وسحبت ريشة، ولاحظت أن المحبرة من الذهب الخالص لكنها لم تكن محور اهتمام فريد كوتر. ثم أخذت تفكر بانتباه إلى الكلمة التي ستكتبها:

إن اللوحة لرسم الإيرل الأول لتراكومب بريشة الفنان انطوني فان ديك سرقت بواسطة فريد كوتر وهو من غايبل كوتاج في ويشينغهام.

وعندما انتهت من كتابتها انتظرت قليلاً كي يجفّ الحبر، واسترعى انتباهها قطع الزجاج المكسورة والذي تناثر على أرض المكتبة.

إنما وعندما يأتي الخدم في الصباح للقيام بأعمال النظافة في المكتبة، سيشاهدون هذه القطع الزجاجية وسيفهمون ما قد حصل. والذي خشيته، أنه وبما أن المسؤول عن المكتبة في إجازة الآن، فإنهم لن يلاحظوا الرسالة التي كتبتها وتركتها على الطاولة.

لكنها أدركت بعد ذلك أين يمكن اكتشافها فحملت الشمعدان بيد والرسالة بيد أخرى ثم اتجهت نحو الباب.

فتحته بحذر شديد لئلا كان أحدهم في أمر ما في الخارج، ولحسن حظها، وجدت الممر المظلم يخلو من أي كائن، كما أنها وجدت إحدى الشمعات ما زالت مضاءة،

فأشعلت شمعدانها بواسطتها وشقت طريقها باتجاه غرفة المكتب.

فكرت أنه كما يفعل والدها، يضع سكرتير المركيز رسائله على الطاولة كل يوم. تذكرت أن مربيتها قالت لها بأنه لا يوجد سكرتير في كومب كورت في الوقت الحاضر.

ومما قالته المربية: «إن السيد رونولدز السكرتير موجود في لندن مع المركيز، وذلك في حسن حظنا.»

فسألتها أوديلا: «لماذا؟»

أجابتها المربية: «لأنني كنت سأطلب موافقته على بقائك معي. لذا، فأنا لم أضطر لأن أطلب من أحد ذلك وعندما يعود السيد رنولدز من لندن، يكون قد فات الآوان له ليقول أي شيء.»

لذا، فإن أوديلا توقعت الآن، أن يكون السيد رنولدز قد عاد مع سيده. ثم أكّدت لنفسها: «سيرى المركيز الرسالة أولاً، وإذا حالفهم الحظ، سيلقون القبض على فريد كوتر قبل أن يأخذ اللوحة إلى لندن، أو إلى أي مكان يريد أن يبيعها فيه.»

كان سبق لها أن ألقت نظرة على غرفة المكتب عندما كانت تستعرض القصر، وبعد أن دخلت إليها، وضعت الرسالة رأساً على الطاولة، معتقدة أن من قد يتوجه إليها، فمستحيل عليه ألا يلاحظها.

وعند ذلك فقط، تذكرت كتبها التي اختارتها، كما أن الخدم، قد يتساءلون كيف أن فريد كوتر فكّر بإلقاء نظرة عليها قبل أن يسرق اللوحة.

أسرعت إلى المكتبة وأرخت الستائر التي كانت قد

أبعدتها عن النافذة قبل أن تحمل الكتب التي اختارتها، ومن ثم، صعدت السلالم إلى الطابق العلوي، وعندما أصبحت في غرفتها وأقفلت بابها بأحكام، شعرت بقلبها يطرق بشدة من الفزع.

كيف يمكن لشيء مثل هذا أن يحصل؟

كيف يمكنها أن تكون في المكتبة وتخوّل المركيز لأن يستعيد لوحته القيمة؟

فقالت بينها وبين نفسها: «ما من سبب يدعو في أن يشك أحدهم بأنني أنا من كتب الرسالة.»

أوت إلى فراشها وهي تنظر إلى الساعة ووجدت انها تشير إلى الرابعة صباحاً فقط، إنه أمر مستغرب ليحصل كل ذلك في ساعة واحدة لا غير.

ففكرت وهي تطفىء الشمعدان: لا أحد قد يعرف بأنني من كتب الرسالة!

* * *

استفاق مركيز ترانكومب من نومه، ولم يدر للوهلة الأولى أين هو، ثم أدرك بعد لحظات قليلة أنه لم يكن في غرفته بل إنه في صالة الاستقبال ينام على الكنبة، وأدرك أنه بعد قليل من الوقت سيصبح الفجر وعليه أن يسرع بالعودة إلى غرفته قبل أن يستفيق الخدم، فحمل سترته ومشى بهدوء عبر الصالة نحو الباب ومنه إلى الممر المؤدي إلى غرفته، فاتجه إليها وبينما كان يفعل ذلك، شعر وبإلحاح شديد أنه بحاجة إلى تنشق الهواء النقي.

تردد في بادىء الأمر، لكنه عزم بعد ذلك على تنفيذ ذلك،

فتقدم باتجاه باب سنديانى ضحم وسحب المزلاج ليخرج منه حيث كان هناك درجات حجرية ضيقة تؤدي كما يعرف المركيز إلى سطح القصر.

إنه ولسنوات عديدة مضت لم يصعد هذه الدرجات لكنه كان أمراً يسعده أن يقوم به حين كان ما يزال يافعاً. الآن وبالرغم من حاجته للهواء الطلق، شعر بأنه يريد أن ينزل هذه الدرجات من جديد لهواً ومرحاً.

لقد كانت هذه الدرجات عميقة وضيقة وقد أضيفت إلى القصر بعد بنائه مباشرة. دفع المركيز الباب ليفتحه في أعلى هذه الدرجات، فسقط على الأرض محدثاً صوتاً قوياً.

وعندما أصبح على السطح، أدرك بأنه وصل في اللحظة الحاسمة، فقد بدأت النجوم بالاختفاء حين أخذ نور طفيف يظهر عند الأفق معلنا حلول الفجر، لم يكن الطقس بارداً، كما أنه لم يكن هناك رياح، لذا فقد وقف المركيز يمتع النظر بخيوط شمس الفجر وفي قلبه البهجة والسرور كما كان في طفولته.

أدرك مع حلول هذا اليوم الجديد بأن معنى ذلك المشهد البديع، هو بمثابة خطوة جديدة سيخطوها مع مغامرته في هذه الحياة. لقد اصبح الآن في سن الرجولة حيث أن لديه الكثير للقيام به، والكثير للتحقيق. كل شيء يبدو أمامه واعداً، ومع ذلك يقرّ بينه وبين نفسه بأنه ليس سعيداً.

لم يكن هناك من سبب لتعاسته هذه، مع أن المشهد الذي يراه من أعلى قصره مثيرٌ ويبعث الانتعاش في النفوس الكئيبة.

حتى أنه لم يحيا من أجل مفاهيمه ومعتقداته، ففكر بينه وبين نفسه: ربما لأنني لم أحاول بما فيه الكفاية، أو ربما

لأنني شغلت نفسي بالتقاط الأزهار التي تموت لا محالة بعد أن تصبح بين يدي.

أخذت في تلك الأثناء خيوط الشمس تظهر في الأفق، فجعلت من الطبيعة ترتدي أبهى وأروع مشهد يمكن لفنان أن ينقله صورة حية للآخرين.

وبينما كان يمتع نظره بكل هذا الجمال، استرعى انتباهه حركة في الأسفل، فحوّل نظره إلى الجهة اليمنى. لقد كان يخيل إليه للحظات مضت بأنه الشخص الوحيد المستيقظ في هذا العالم البديع.

لقد شاهد حصاناً آتياً من ناحية الإسطبل. وكان من يمتطيه امرأة. لم يتمكن من رؤية وجهها بوضوح، لكنه لاحظ من طريقة امتطائها للحصان وتحركاتها، بأنها تجيد ركوب الخيل باتقان.

ولأنه يستطيع أن يرى بوضوح من قمة هذا القصر حتى المسافات البعيدة، أخذ يراقب انتقالها من حقل إلى آخر.

لقد قفزت فوق حاجزين بخبرة ومهارة من دون أي خطأ فيهما. أخيراً، اختفت بين الأشجار في غابة كليف بينما كانت تعدو بالحصان بسرعة.

فسأل المركيز نفسه: من عساها تكون يا ترى؟

سطعت الشمس أكثر في تلك الأثناء فلم يعد بإمكانه النظر أكثر، فاستدار وعاد إلى داخل القصر.

الفصل الخامس

حاولت أوديلا أن تنام، ولكن ذلك بدا مستحيلاً عليها، فقد كان قلبها ما زال يطرق بشدة لكثرة قلقها وخوفها من أن يتمكن فريد كوتر من الاستلاء على هذه اللوحة القيمة قبل أن يتمكن أحد من أن يوقفه ويمنعه من تنفيذ جريمته البشعة.

تذكرت أمراً هاماً، لنفترض أن المركيز وبعد أن يقرأ الرسالة يبدأ يسأل من في القصر، من الذي كتبها؟ ساعتئذ بعد قليل من التحقيقات، سيعرف بأن هناك ضيفة في القصر ومن دون شك سيطلب مقابلتها.

فقالت بينها وبين نفسها: يجب أن أغيب عن هذا القصر، على الأقل ليوم واحد.

قفزت من السرير بعد أن وصلت بتفكيرها إلى هذا القرار واتجهت على الفور إلى غرفة مربيتها. وجدتها نائمة نوماً عميقاً وإلى جانبها بيتي الصغيرة في مهدها.

لمست أوديلا كتفها بلطف، فاستيقظت المربية في الحال مذعورة، وكأنما كان عليها واجباً في هذا الوقت وضميرها يفرض عليها أن تقوم به لا أن تتغاض عنه.

همست أوديلا قائلة: «هذه أنا يا مربيتي.»

سألتها المربية بقلق: ماذا هناك؟»

أخبرتها أوديلا بكل ما جرى وحدث بصوت منخفض. فقالت المربية بعد أن انتهت من روايتها: «إنني أتذكر فريد كوتر الشرير!»

«نعم أعرف ذلك يا مربيتي، كما وأنني لن أسمح بأن يأخذ رسم الإيرل الرائع بريشة فان ديك.»

أدركت أوديل من ملامح وجه مربيتها بأنها لم تشاهد ذلك الرسم ولكنها تفهم وتقدّر قيمته. فتابعت أوديلا: «سأمتطي دراغونفلي، وابقى خارج القصر طوال اليوم، وعند عودتي، يكون المركيز قد استعاد لوحته فيتوقف عن طرح الأسئلة على الخدم في القصر.»

بدت المربية وكأنها استحسنت هذا الحل الذي لا بديل له، فقبلتها أوديلا ومشت على رؤوس أصابعها خارج الغرفة كي لا تستيقظ الصغيرة.

أسرعت تهبط السلالم إلى الطابق الأرضي وعندما خرجت من الباب الخلفي، لاحظت بأنه قد انبلج الفجر، والنجوم أخذت تختفي في السماء مفسحة لنور الشمس بالإشراق.

اتجهت إلى نهاية الإسطبل حيث يبيت دراغونفلي، وكان كل شيء يغرق في سكون تام، حتى صبي الإسطبل المسؤول غارق في النوم.

لم يكن هناك من مشكلة لاخراج دراغونفلي ووضع السرج على ظهره، لأنه كانت تفعل ذلك بنفسها في كل مرة.

مشت به في الباحة الخارجية ثم امتطته وهو ساكن لا يصدر منه أي حركة، ثم أمسكت لجامه فأظهر سعادته وبهجته لأنه تحرّر من ذلك الإسطبل.

خرجت به من الباب الخلفي للحديقة إلى الحقول الفسيحة وانطلقت به إلى الأمام والهواء العليل يلفح وجهها كما وجهه فيزيدهما فرحاً وانشراحاً.

استيقظ المركيز في الساعة الثامنة من الصباح حين كان خادمه الخاص يزيح ستائر النافذة، فأخذ يمطّ بذراعيه وهو ما زال يشعر بالتعب من الساعات القليلة التي تمكن فيها من النوم.

دهش عندما اقترب منه خادمه الخاص ليقول: «اعذرني يا سيدي، لكن السيد نيوتن يريد أن يراك ويبدو أن هناك أمراً طارئاً.»

كان نيوتن، رئيس الخدم في هذا القصر، فسأل الإيرل والدهشة لا تفارق محياه: «ما الذي يريده؟»

أجابه خادمه الخاص: «سيقول لك بنفسه يا سيدي.» ثم توجّه ليفتح باب الغرفة.

استوى المركيز في السرير ودفع بشعره إلى الوراء بعيداً عن جبهته.

عندما دخل رئيس الخدم إلى الغرفة، سأله المركيز بحدة: «ماذا هناك؟»

أجاب نيوتن: «آسف لازعاجك يا سيدي، لكن أحدهم كسر زجاج نافذة المكتبة ودخل إليها ثم سرق اللوحة القيمة منها!»

لقد نجح رئيس الخدم حقاً من جعل المركيز ينذهل بل ويُصعق من هذا الخبر، فحدّق به بصمت للحظات قليلة ثم قال: «لا يمكنني أن أصدق أمراً كهذا! أين كان الحارس الليلي في ذلك الوقت؟»

«أخشى أن أقول لك يا سيدي إننا من دون حارس في الوقت الحاضر، وكليمنتس قد خرج من القصر وهو في حالة المرض الشديد، كما أننا كنا نتوقع عودته في أي يوم، ولكنه لم يتعاف بعد.»

فسأله المركيز بغضب شديد: «لماذا لم يبلغني أحد بهذا الأمر؟»

تابع رئيس الخدم كلامه تهرباً من الجواب: «لقد كسر اللص زجاج النافذة يا سيدي، كما وأن قطع الزجاج المتكسرة تناثرت في أرض المكتبة.»

فقال المركيز: «سأرى ذلك بنفسي، ثم نهض وخرج من السرير وأسرع نيوتن بالخروج من الغرفة.»

أخذ المركيز يرتدي ملابسه بسرعة وهو في حالة من التوتر والعصبية وكأنه لا يصدق أن يحدث مثل هذا الأمر اطلاقاً، لقد أصبح الخدم مهملون خاصة وأنه يقضي أكثر اوقاته خارج القصر، كما أن كليمنتس صار كبير السن على أن يكون حارس ليلي.

وكم من مرة قال بينه وبين نفسه بأنه عليه أن يوكل رجلاً آخراً لمهمة دقيقة من هذا النوع.

لكنه، وفي حال خسر هذه اللوحة القيمة نهائياً، فإنه يعترف بأنه لن يمكنه أن يستعيض عنها بأية لوحة أخرى، لأنه كانت لوحة عزيزة على والده ويفتخر بها ويقدّرها، وكان قد نظفها وأعاد لمعانها قبل وفاته بوقت قليل.

بإمكان المركيز أن يتذكر حين كان صغيراً بأنه قد كان يُقال أمامه دائماً إن فان ديك فنان نابغ ومبدع، ولا بإمكان أي فنان آخر أن يرسم صوراً للأشخاص كما كان يرسمها هو.

وسأل نفسه: «كيف يمكنني أن أخسر شيئاً غالياً كهذه اللوحة؟»

ثم سمع طرقاً على باب غرفته، وعندما ذهب خادمه

الخاص ليفتحه، تمكن المركيز من سماع أحدهم يكلمه بنبرة مستعجلة، وبعد لحظات قليلة، دخل السيد رينولدز وهو سكرتيره الخاص إلى الغرفة.

فقال المركيز في الحال: «لقد كنت على وشك النزول إلى الأسفل لأشاهد بعيني ما قد حدث!»

أرسع رينولدز يقول: «الذي جئت به إليك يا سيدي، هو هذا.» ومدَّ له الرسالة التي كتبتها أوديلا والتي كانت قد تركتها على طاولة مكتبه.

تناول المركيز الرسالة من سكرتيره الخاص، وعندما قرأها، أعاد قراءتها من جديد ليتأكد أكثر من أنه لم يخطىء في قراءتها.

ثم سأله: «أين وجدتها؟»

«لقد كانت على الطاولة في مكتبك يا سيدي.»

«من الذي كتبها؟»

«ليس لدي أية فكرة يا سيدي.»

أدرك المركيز من الخط اليدوي الأنيق، بأن من كتبها، من دون شك مثقف جداً.

فقال المركيز: «لا بدّ أن واحداً من الذين في هذا القصر قد كتبها؟»

أجاب السكرتير: «لا أعتقد أن هذا الخط عائد لأي من الخدم هنا يا سيدي.»

وضع المركيز الرسالة على طاولة الزينة وقال: «إذا كانت المعلومات صحيحة، من الأفضل لنا أن نسرع! اطلب لأن يكون سارسن جاهزاً أمام باب القصر بأسرع ما يمكن، كذلك قل للسائسين بن وديك ان يرافقاني على صهوة

جوادين آخرين كما انني احتاج إلى مسدس ومن الأفضل للسائسين أن يكونا مسلحين أيضاً.»

«حاضر سيدي.» قال السكرتير ذلك بينما كان يخرج من الغرفة.

أخذ الخادم الخاص يساعد المركيز في ارتداء ملابس ركوب الخيل وفي انتعال الجزمة الخاصة لذلك، ثم حمل المركيز رسالة أوديلا وأسرع بالخروج من الغرفة، وعندما وصل إلى الطابق الأرضي قال له نيوتن: «طعام الفطور جاهز يا سيدي!»

لكن المركيز لم يردّ عليه وتجاوزه بسرعة في اتجاه باب القصر، ووجد الخيول قد بدأت تتحرك من ناحية الإسطبل، وكان السائسان شابان قويان، فأدرك بأنهما سيبرهنان عن شجاعة ومهارة فيما لو تورطوا بأية مشكلة.

ركب المركيز على صهوة حصانه وانطلق به بسرعة بالغة، كان يعرف الطريق الذي يؤدي إلى ويكينغهام وبأن الطريق الأقصر إليها هي عبر الحقول.

كان حصانه سارسن نشيطاً وقوياً، فأضطر المركيز وقد سبق السائسين مسافة كبيرة، على أن ينتظرهما عند مدخل القرية، وعندما أصبحا على مقربة منه تكلم للمرة الأولى بعد خروجه من القصر وقال: «هل مسدساكما محشوان بالرصاص؟»

«نعم يا سيدي.»

«إنكما لن تستعملانهما إلا عند الضرورة، وإذا حالفنا الحظ، سنفاجيء ذلك الرجل على حين غرة حتى لا نعرض أحداً للإصابة.»

www.rewity.com/vb بلا عنوان

عرف بأن السائسين فهما تماماً ما قاله، ولكنه وبعد أن وصل إلى أول كوخ في القرية، قال لبن: «هل تعلم أي من الأكواخ هو كوخ غيبل؟»

لقد كان المركيز متأكداً لدى نزوله إلى الطابق الأرضي من القصر، بأن كل من يخدم فيه قد علم بأمر الرسالة.

أجابه بن: «نعم يا سيدي، إنه الكوخ الأول من بعد المدرسة.»

تابع المركيز تقدمه، وكان كل من بقربه، يعرفه، فالنساء لوحن بأيديهن احتراماً والرجال لامسوا جباههم تحية له.»

كان كوخ غيبل أكبر بكثير من الأكواخ الأخرى في القرية، وكان في الواقع منزلاً أكثر من كونه كوخاً ويتألف من طابقين اثنين، أما الحديقة فقد كانت مكسوة بأزهار الربيع المتنوعة، كما أن الممر الضيق الذي يؤدي إلى الباب، كان نظيفاً وعلى جانبيه نمت الأعشاب البرية، ومقرعة الباب النحاسية تلمع ببريق يلفت الأنظار. كان هناك أيضاً حديقة خلفية تطل على حقول شاسعة. فالتفت المركيز إلى ديك وقال بصوت منخفض: «تقدم بجوادك إلى الناحية الخلفية للمنزل ولا تدع أحداً يهرب منك.»

ففعل السائس ديك ما طُلب منه، فتحوّل المركيز إلى بن ليقول: «راقب أنت واجهة المنزل.» ثم نزل عن صهوة جواده سارسن وشدّ رسنه إلى بوابة المنزل.

مشى في الممر الضيق الذي يؤدي إلى الباب وحاول أن يدير المسكة في محاولة منه لفتحه، ظناً منه، انه من غير المعقول أن يكون موصداً في هذا الوقت من النهار. لم يكن مخطئاً في ظنه، وتمكن من فتح الباب ودخل إلى صالة

صغيرة في إحدى جوانبها سلالم ضيقة تؤدي إلى الطابق العلوي المخصص للمنامة.

وجد أيضاً أن هناك بابين يجب أن يختار أحدهما ليفتش عن ضالته في داخلهما، واختار الباب الأبعد مسافة وهو يفكر بأنه من المحتمل أن هذه الغرفة التي سيفتح بابها قد تطل على الناحية الخلفية للمنزل.

فتح الباب، وصحّ ظنّه، لقد وجد شاباً يجلس في منتصف الغرفة يدّقق النظر بلوحة فان ديك.

تفاجأ الشاب ووقف في الحال وهو في دهشة كبيرة لظهور المركيز أمامه.

اعتقد المركيز بعد أن وقع نظره على الشاب، بأنه غير مرضي الملامح والتي يطل منها المكر والخداع. كما وأن أياً كان يتمتع بشدة الملاحظة، يعرف بأنه شاب لا يمكن الوثوق به.

تقدم المركيز إلى الطاولة التي وضعت عليها اللوحة، ولمس اللوحة بأصابعه، ثم قال: «كيف تتجرأ وتقتحم قصري لسرقة ممتلكاتي. سآخذك إلى الشرطة وسوف تقف أمام القضاة، فهل تعرف عقوبة وجزاء من يسرق؟»

لم يجب فريد كوتر على السؤال، فلاحظ المركيز بأنه يصرّ على أسنانه خوفاً واضطراباً.

فتابع المركيز: «العقوبة والجزاء لهذه الجريمة، هي الشنق، أو ربما النفي. هل هي جريمتك الأولى؟»

عند ذلك، قال كوتر بتوسل شديد: «سامحني يا سيدي، سامحني!» وسالت الدموع من عينيه وهو يتابع: «إن والدتي تعاني من المرض الشديد ولا أملك مالاً لأدفع إجرة الطبيب أو

العلاج الذي طلبه لها، لقد كنت أحاول أن أنقذ حياتها!»

«كان عليك أن تعلم بأن من يسرق لوحة من قصري، سيدفع بالشرطة في التفتيش حالاً على الجاني، وفرصتك بالنجاة والهرب بسرقتك ضعيفة جداً.»

أخذ فريد ينتحب خائفاً وقال: «أعرف! أعرف! لكنني لم أستطع أن أفكر في شيء آخر قد ينقذ حياة والدتي.»

أجابه المركيز مؤنباً: «ألا تدرك بأنه من غير المستحب أن تبيع لوحة قيمة كهذه والتي بالإمكان التعرف إليها بسهولة؟»

«لم أعرف ذلك، كما أنني وللمرة الأولى أقدم بشيء مماثل، لقد كان همي الأول محصور، في كيفية انقاذ والدتي من المرض الشديد الذي تعاني منه.»

خرج المركيز من كوخ غيبل بعد عشرة دقائق وقد سامح فريد كوتر على جريمته الشنعاء وحذّره قائلاً: «إذا قمت بمثل هذا العمل مرة أخرى، لن أتردّد بأن أرى بنفسي أن تُنزل بك أشدّ العقوبات التي تستحقها.»

بكى فريد كوتر وقال: «أعدك... أعدك يا سيدي!» وخرج المركيز من الكوخ، ثم ناول اللوحة للسائس ديك وتوجّه الجميع عبر الطريق الأطول للقصر لكن الأقل وعورة.

إن المركيز لم يكن عطوفاً مع فريد كوتر بسبب قصته المزعومة حول مرض والدته، بل لأنه اعتقد بأنه من الخطأ أن يعرف من في الجوار، كم أن الدخول إلى قصره سهل جداً دون أن يلاحظ أحد ذلك.

ففي القصر وفي غرفه العديدة، هناك كنوزاً من الألماس والحجارة الكريمة المختلفة.

هناك البورسلين الذي لا يقدّر ثمنه بمال من مجموعة سيفر ودرسدن الصينية.

كما أن هناك مجموعة والده النادرة من الأسلحة القديمة واللوحات التي علّقت على كل حائط والتي لطالما استحسنها الخبراء المقدّرين قيمتها.

فقال المركيز بينه وبين نفسه: «سأضع حارسين ليليين للحراسة في الحال، ولن أسمح لمثل هذا العمل أن يتكرّر.»

وصل المركيز إلى القصر ليجد أن السيد نيوتن والسيد رينولدز كانا ينتظرانه في قاعة القصر.

فقال لهما المركيز: «لقد استعدت لوحتي، لكنني أضع اللوم عليكما بسبب إهمالكما في تأمين حراسة للقصر.»

بقي الرجلان صامتين بينما تابع المركيز بنبرة شديدة: «من الآن فصاعداً، سيكون هناك حارسان ليليان يتجولان حول القصر، خاصة على مداخله ونوافذ الطابق الأرضي منه كي لا يتجرأ أي كان من كسر الزجاج مرة أخرى لتنفيذ مآربه الشريرة.»

توجّه المركيز إلى غرفة الطعام بعدما جاء على آخر كلمة من كلامه، دون أن يتمكن أحد من الرجلين الإجابة عليه، وتناول فطوراً جيداً ولقد انضمّ إليه السيد أفوندال ولم يخبره بأمر السرقة التي حصلت في قصره ليلة البارحة.

وبعد خروج ضيفه، أخذ المركيز يتساءل مرة أخرى عن هوية الذي مدّه بالمعلومات والتي توصل بها على استعادة لوحته القيمة.

توجّه إلى غرفة مكتبه، وعندما انضم إليه السيد رينولدز،

سأله: «هل عرفت من كتب لي الرسالة يا رينولدز؟ فأقل ما يمكنني أن أفعله هو التوجه بالشكر إليه.»

أجاب رينولدز: «لا فكرة لدي بمن يكون صاحب الرسالة يا سيدي.»

بدا رينولدز بعد ذلك متردّداً، فسأله المركيز: «ماذا هناك؟»

أجاب رينولدز: «لا أدري، لكن ليس من الممكن أن تكون الشخص الذي نبحث عنه، إنما مربية الصغيرة، جاءت تزورها ابنة شقيقها لتمضي بعض الوقت معها.»

ردّد المركيز كمن يخاطب نفسه: «ابنة شقيقها؟ حسناً، وبما انك متأكد بأن ليس أحداً ممن في القصر هو الذي كتب تلك الرسالة، فأرى انه من الأفضل أن أتعرف على تلك الشابة. ما إسمها؟»

أجاب رينولدز: «لقد تأكد لي بأن اسمها وست، أوديلا وست.»

فأمره المركيز: «إذاً، أرسل إليها لتأتي في الحال، فلو تبيّن لي بأنها هي من مدني بالمعلومات، أعتقد بأنني سأكون مديناً لها.»

خرج رينولدز من الغرفة، وبعد مضي فترة من الوقت، عاد إلى المركيز الذي أخذ ينظر إليه بتساؤل حين قال له رينولدز: «أخشى يا سيدي أن أقول لك إن الآنسة وست ذهبت لتمارس ركوب الخيل، ولا أحد على ما يبدو يعلم متى ستعود من نزهتها تلك.»

كرّر المركيز كلامه: «ذهبت لتمارس ركوب الخيل؟ وهل علي صهوة أحد من جيادي؟»

«لا يا سيدي، بل على جوادها هي.»

بدا المركيز مندهشاً حين قال: «من غير المألوف حقاً أن تكون فتاة تملك جوادها الخاص وهي قريبة لمربية في هذا القصر.»

أجاب رينولدز: «لقد فهمت يا سيدي، بأن لشقيق المربية إسطبلاً في أوكسفورد.»

ابتسم المركيز قائلاً: «حسناً فهمت الآن سبب اقتنائها للجواد، اترك رسالة تقول بأنني أرغب برؤيتها حالما تعود من نزهتها.»

بعد مرور شوط من النهار، استيقظت الين بتيون وخرجت إلى الحديقة، فدعته للانضمام إليها، الأمر الذي لم يكن يرغب بأن يقوم به.

عاد المركيز وسأل عن أوديلا وست، فعلم بأنها لم تعد بعد من نزهتها. تذكر عندها فقط، بأنها قد تكون هي المرأة التي شاهدها عند الفجر، وكانت تمتطي جوادها لتخرج من الإسطبل وفي اتجاه غابة كليف. اندهش ورأى في الأمر غرابة كيف أن تخرج في ذلك الوقت المبكر ولا تعود حتى الآن.

لم يفكر بهذا الأمر بداع من الفضول، إنما أنبأه حدسه فجأة بأن هناك أمراً هاماً يجري ويدور ويريد أن يعرف السبب لذلك وبأنه أمر يجب أن يتحقق منه.

نظر إلى الساعة المعلّقة على الحائط، ووجد أن هناك ساعتين تفصله عن موعد العشاء، فبعث إلى الإسطبل يطلب أن يجهّز له جواده جوبيتر وهو جواد آخر من أفضل الجياد عنده.

وبعد مضي عشر دقائق، كان يمتطي جواده في نفس الحقول المنبسطة التي شاهد فيها أوديلا في وقت مبكر من صباح هذا اليوم.

تخطى جوبيتر الحواجز بسهولة، فأدرك المركيز بأن مثل هذه الحواجز عالية وصعبة على امرأة تتخطاها بجوادها.

وصل أخيراً إلى غابة كليف التي تعتبر من أجمل العقارات التي يملكها، وفي قسمها الأخير، كانت تعلو تلة مغطاة بشجيرات كثيفة، وكان المنظر من أعلى قمة من هذه التلة، رائع جداً يحبس الأنفاس في الصدور. فكل من جاء ليبقى في كومب كورت ويتمتع بركوب الخيل، يذهب ليشاهد المنظر البديع من قمة تلة غابة كليف.

وكان والد المركيز الحالي، هو أول من وضع هناك مقعداً خشبياً طويلاً، كي يتمكن لكل من يجيء التلة، أن يجلس ويستريح وينعم ويمتع نظره بذلك المنظر الخلاب الذي يمتد لمسافة أكثر من ثلاثين ميلاً.

كانت غريزة المركيز تنبئه بل تؤكد له بأنه المكان الذي سيجد فيه أوديلا وست.

ولم يكن مخطئاً في ذلك.

* * *

لقد خرجت أوديلا عن الفجر من كومب كورت بصورة اضطرارية، لكنها لم تكن تتوقع قط بأن يكون يومها رائعاً يسلب العقول.

لقد أسرعت في البداية تعدو بجوادها دراغونفلي لتؤمن

ابتعادها شوطاً كبيراً عن القصر، إلى أن وصلت إلى نقطة خفّفت فيها من سرعتها، لتدخل إلى غابة كليف التي أدهشتها روعتها وجمالها، كما هي عادتها في كل مرة يقع نظرها على مشهد جميل.

كانت أشعة الشمس تتلألأ بين أوراق شجر تلك الغابة والعصافير تزقزق فوق الأغصان بسعادة، بينما أخذت الأرانب تطلّ من أوكارها مذعورة من تطفل أوديلا بالدخول إلى عالمها.

لم تتمكن في البداية من الاهتداء إلى الطريق الي توصلها مباشرة إلى التلة، فضاعت في الغابة الكثيفة لتجد نفسها بعد ذلك بأنها خرجت منها ووصلت إلى قرية صغيرة ة تذكر بأنها كانت قد زارتها قبلاً.

كان في القرية أكواخاً قليلة وإلى جانبها بحيرة أخذ البط يسبح فيها بمرح وحبور. حتى أنها وجدت في القرية، أدوات للتعذيب كانت تستعمل في القرون الوسطى.

شعرت مع مرور الوقت بالجوع الشديد، خاصة وأنها خرجت باكراً دون أي تتمكن من تناول فطور الصباح. فرأت في هذه القرية الصغيرة، مطعماً يقدم الطعام للمسافر الذي يمر في الجوار، ففكرت أنه ربما من غير المستحب على فتاة مثلها أن تدخل إلى مطعم كهذا بمفردها، لكنها تجرأت ودخلت إليه بعد أن اكتشفت بأن قلة قليلة من الناس في داخله.

فسألت المسؤول هناك إذا كان بإمكانها أن تضع جوادها في الإسطبل لفترة وجيزة تتناول خلالها فطورها.

ومما قالته للمسؤول: «سيلحق بي سائسي، لكن كلبي ضاع مني في الغابة، لذا فهو يبحث عنه الآن.»

أجابها المسؤول: «فهمت يا سيدتي، واعرف بأنه من السهل أن يضيع أي كائن في تلك الغابة الكثيفة. لذلك نمنع أولادنا في هذه القرية من اللعب في داخلها.»

تناولت أوديلا فطورها خارج المطعم لأنه كان يوماً حاراً جداً وإلى طاولة صنعت من جزع شجرة، وبما أنها كانت جائعة كثيراً، وجدت أن البيض المقلي طعمه لذيذ جداً، لكنها فكرت بأن القهوة قد لا تكون من أفضل نوعية، لذا فقد شربت فنجاناً من الشاي عوضاً عنها، وحلّته بملعقة كبيرة من العسل البري.

أحضرت لها زوجة صاحب المطعم الخبز مباشرة من الفرن، فدهنته بالزبدة والعسل الذي جيء بهما من مزرعة قريبة للقرية.

فعبّرت أوديلا برأيها عندما انتهت من طعامها: «إنه مكان رائع حقاً!»

أجابها صاحب المطعم: «إننا نعتقد ذلك أيضاً، مع أنه لا يمرّ بنا العديد من المسافرين.»

شكرته أوديلا، ونقدته المبلغ القليل الذي طلبه منها لذلك الفطور، ثم امتطت جوادها وابتعدت عن القرية بعد أن أخبرته بأنه ستوافي سائسها لتساعده في البحث عن كلبها الضائع.

أخذت تتقدم في أماكن لا تعرفها في هذه المناطق، ثم خشيت من أن تصادف أحداً من شالفورد هول فيتعرف عليها. لذا، وجدت أنه من الأفضل لها، أن تعود إلى غابة كليف ومنها إلى تلتها التي هي مقصد كل من يريد أن يمتع نظره بالطبيعة الخلابة.

عندها فقط، اكتشفت ذلك المقعد الخشبي الطويل، ولم تشك لماذا وضع هناك بعد أن رأت أمامها أجمل منظر يمكن أن يقع نظرها عليه.

وقبل أن تجلس على ذلك المقعد الخشبي، حلّت رسن جوادها دراغونفلي وتركته يتنزه على هواه هناك، وكانت تعلم بأنه لن يبتعد عنها وبأنها يمكنها أن تصفرّ له في أي وقت تريده، فيسرع إليها محركاً ذيله بابتهاج. لقد درّبته على ذلك منذ ان كان مهراً، وكان دائماً مطيعاً يلبّي طلبها بإذعان.

مرّ الوقت ببطء شديد، لكنها كانت تشعر بالسعادة بالرغم من عدم وجود كتاب لتقرأه. لقد كانت تلهي نفسها بزقزقة العصافير المختلفة الأنواع، حتى أنها شعرت بأنها جزء لا يتجزؤ منهم. لكن وعندما أصبح الوقت متأخراً من بعد ظهر هذا اليوم، أخذت تشعر بالتعب الشديد، كيف لا وهي التي لم تذق طعماً للنوم طوال ليلة أمس، بالإضافة إلى خوفها الشديد عندما رأت فريد كوتر يسرق اللوحة من المكتبة.

خلعت عنها سترتها وكذلك قبعتها التي جعلت منها وسادة تريح رأسها المتعب عليها، معتقدة بأن ذلك سيعيد إليها نشاطها وحيويتها، ثم غرقت في نوم عميق.

شاهد المركيز أولاً دراغونفلي الذي كان يحاول أن يجد لنفسه بعض الأعشاب والتي يمكنه أن يأكلها، فاقترب من الجواد الأصيل الرائع وقد تمنى لو يمكن أن يقتنيه لنفسه، ثم وعندما حوّل نظره إلى المقعد الخشبي، وجد ضالته التي كان يبحث عنها، لكن ما لم يكن يتوقعه بتاتاً، هو أن يراها غارقة في نوم عميق.

كما أن الشمس التي كانت تأذن بالمغيب، حوّلت شعر أوديلا إلى لون ذهبي يبهر الأبصار، وكانت رموش عينيها الطويلة داكنة اللون.

نزل المركيز من على صهوة جواده جوبيتر، ثم حلّ رسنه كي يتجوّل على هواه تماماً مثل دراغونفلي. توجّه بعد ذلك إلى المقعد الخشبي لينظر إلى الحسناء النائمة التي تشغله.

دهش لما رآه من حسنها وفتنتها، وتساءل بينه وبين نفسه، كيف يمكن لفتاة بهذا الجمال أن تكون قريبة للمربية؟

إن كل ما يظهر من هذه الحسناء النائمة يدلّ على أنها هي أيضاً من سلالة عريقة ونبيلة، حتى أنه اعتقد بأن مثل هذا الجمال لا يمكن لأحد رسمه سوى ريشة الفنان فان ديك.

اعتقد المركيز بينما كان ينظر إلى أوديلا، بأنها من المؤكد هي تلك الحسناء النائمة التي حكت عنها الروايات الخيالية.

خامره شعور بأن يلامس يدها ليوقظها من نومها العميق، لكنه استدرك بأنه من المعيب جداً ان يفعل مثل هذا الشيء مع فتاة تصلها قرابة بمربية القصر.

سعل بالمقابل، آملاً بأن تستيقظ أوديلا من هذا الصوت، ففتحت عينيها ببطء ليقع نظرها عليه بعد ذلك، ونظرت إليه نظرات تعثر عليه فهمها وإدراكها.

خلع قبعته وتقدّم أكثر من المقعد الخشبي، ولم تكن لديه أدنى فكرة بأنها تعتقده الإيرل الأول وهي تشاهده الآن في الحلم.

لقد كان هناك في الواقع، تشابه كبير بينه وبين والده وحتى بينه وبين جده. لذا، فإن هناك تشابه عائلي شديد بينهم جميعاً.

لكن الآن وبالنسبة لأوديلا، هناك تشابه كبير بينه وبين صورة المكتبة التي كانت تمعن النظر فيها كل يوم والتي كانت قد سرقت على يدي فريد كوتر.

أخذا للحظات قليلة، يحدقان ببعضهما البعض، ثم قالت أوديلا بعد ذلك بنبرة لم تبدُ أبداً بأنها نبرتها: «أنت على قيد الحياة! لقد... لقد اعتقدت... لقد سُرقت!»

شعرت حقاً بأنها مستيقظة فقط عندما نطقت بهذه الكلمات وبأنها لم تعد تحلم.

وبجهد كبير نهضت عن المقعد الخشبي لتجلس عليه، مما جعل المركيز بأن يتمكن من الجلوس بعد ما أخلت معظمه.

ثم قال: «لقد اعتقدت بأنني سوف أجدك هنا.»

فسألته: «ما الذي... ما الذي جعلك تعتقد ذلك؟»

تأوّهت بعد لحظات مستدركة، ثم قالت: «هل... هل انقذت اللوحة؟ ألم يتمكن فريد كوتر من... من التخلص منها؟»

أجابها المركيز بنبرة عميقة: «والشكر لك، لقد ضبطت اللوحة مع فريد كوتر في كوخه، وها هي الآن قد عادت إلى مكانها الأساسي في المكتبة.»

تنهّدت أوديلا بارتياح وقالت: «إنني سعيدة للغاية.»

فسألها المركيز: «كيف تمكنت من المعرفة بأن اللوحة قد سُرقت؟»

تردّدت أوديلا للحظات قليلاً، ثم ابتسمت، فاعتقد المركيز بعد أن شاهد ابتسامتها، بأنها أجمل ابتسامة رأتها عيناه.

أجابته بعد ذلك بصدق: «لقد توجهت إلى الطابق الأسفل،

في... في منتصف الليل... لأسرق بعضاً من كتبك!»

ضحك المركيز وقال: «وبعملك هذا، أزعجت كوتر!»

أجابت أوديلا: «لا... بل هو أزعجني! فلقد اختبأت خلف الستائر عندما لاحظت ما يحاول فعله، كما أنني كنت خائفة للغاية!»

فقال المركيز: «إنني مسرور للغاية لوجودك في ذلك الوقت هناك، وأتساءل، ما الذي يهمك فيما لو سرقت اللوحة أو لم تسرق؟»

«بالطبع تهمني سرقتها! فقد تكون المأساة بعينها لو أن اللوحة فقدت، لأن وجودها مهم في القصر.»

ثم طرأت على رأسها فكرة ما، فقالت: «لنفترض بأنها هُربت إلى خارج البلاد، مما يعني بأنك تكون قد خسرتها!»

أجابها المركيز: «إنني جدّ ممتن لك، وأكثر مما يمكنني قوله أو التعبير به، إنني وبالطبع، كنت محظوظاً للغاية لوجودك في قصري.»

لاحظ بينما كان يكلمها تورّد لون خدّيها، الأمر الذي دعاها لأن تشيح بوجهها عنه خجلاً.

خيّم بعد ذلك صمت وجيز قبل أن يقول: «أعتقد بأنني أعرف سبب وجودك في قصري، والسبب الذي دعاك لأن تهربي في وقت مبكر من صباح هذا اليوم، ذلك كي لا أرسل في طلبك.»

فسألته أوديلا بتردد: «كيف... عرفت... بأنني فعلت... ذلك؟»

أجابها المركيز: «صادف وأنني كنت على سطح القصر عند الفجر، فرأيتك تمتطين صهوة جوادك خارجة من

الإسطبل وتقفزين فوق الحواجز بمهارة أثارت إعجابي!»

قالت أوديلا ببساطة: «يفرح دراغونفلي كثيراً عند قيامه بهذه القفزات.»

فعلّق المركيز قائلاً: «إنه جواد رائع بالفعل!» ثم حوّل نظره إلى ناحية دراغونفلي، ليجده جنباً إلى جنب مع جوبيتر.

فقالت أوديلا: «إنه برفقتي منذ أن كان مهراً، كما أنني أحبه أكثر من أي شيء آخر في العالم!»

أجابها بعد لحظة تفكير: «أعتقد بأنك بينما كنت اليوم تختبئين مني، كنت كذلك تختبئين من شخص آخر!»

ذهلت أوديلا من كلامه، وندمت على الطريقة التي كانت تكلمه بها وكأنه أحد من أهل منزلها. وتذكرت بأنها حقاً مختبئة، وعليها بأن تتنبه أكثر لكلامها ولتحركاتها كي لا تدع المركيز يشك بأمرها.

فقالت متظاهرة بعدم الإدراك: «إنني... إنني لا أعرف... ماذا تعنيه.»

أجابها المركيز قائلاً: «لا بل أعتقد بأنك تعرفين تماماً ماذا أعني، لكنني لا أريد إزعاجك، كما وانني أعدك، إذا كان ذلك ممكناً بالطبع، بأنني سأقدم لك مساعدتي.»

نظرت إليه باستغراب وتعجب قائلة: «ما الذي يدعوك إلى قول ذلك؟»

«كما سبق وذكرت لك، إنني أستعمل غريزتي، كما انني أعتقد، بأنه شيء تستعملينه أنت أيضاً.»

أجابت أوديلا وعلامات التعجب لا تفارق محياها الجميل: «نعم، أستعملها.»

فقال المركيز: «في هذه الحالة، يجب على غريزتك أن تقول لك بأنه يمكنك أن تثقي بي، كما وانني سأجازف وأتحمل غضبك، لأنني لا أصدق ادعاءك حين تقولين بأنك ابنة شقيق المربية التي تعمل عند شقيقتي.»

توقف عن الكلام لبرهة قبل أن يتابع: «كما وإنني لا أصدق أيضاً بأن والدك يملك إسطبلاً وأن دراغونفلي هو أحد جياده!»

ازدادت دهشة أوديلا وقالت باضطراب شديد: «إنك تفزعني بكلامك هذا! كيف يمكنك... أن تعرف... كل هذه الأمور؟»

ابتسم المركيز وأجاب: «أنا لست غبياً لهذه الدرجة! وعندما رأيتك تنامين منذ بعض الوقت فوق المقعد الخشبي، أعتقدت رأساً بأنك الحسناء النائمة، وتنتظرين ذلك الأمير الأسطوري الذي سيوقظك.»

خجلت أوديلا من كلامه هذا، لكنها ضحكت في الوقت نفسه وقالت: «لقد كنت أحلم حلماً غريباً بينما كنت نائمة، لكنني عندما استيقظت... وجدتك أمامي...»

فقال المركيز: «هل اعتقدت بأنني الإيرل الأول؟»

أجابت أوديلا: «من المؤكد... بأنني كنت أحلم به.»

قال المركيز: «اعتبر ذلك اطراء كونك تحلمين بي!»

عاد يخيّم الصمت عليهما ثم قالت أوديلا بسرعة كأنها تريد أن تغيّر الموضوع: «ما الذي فعلته بشأن فريد كوتر؟»

أجابها المركيز: «لا شيء.»

ذعرت أوديلا وقالت: «تقول لا شيء!»

«لقد أخبرني بأن والدته تعاني من المرض الشديد لذلك

سرق اللوحة ليتمكن من معالجتها بالأدوية التي قد تحتاجها.»

نظر إليها قبل أن يتابع: «بكاؤه كان مقنعاً للغاية، لذا قرّرت أن أسامحه بعد أن وبخته وعنفته، ثم استعدت لوحتي التي سرقها وأطلقت سراحه.»

تنهدت أوديلا وقالت: «لقد كان ذلك نبلاً منك لكن دعني أقول لك بأنه ضلّلك. إن ذلك الرجل لصاً محترفاً، كما أنه وصمة عار لعائلته. لقد أنفق مال والده الذي جناه بعرق جبينه، كما وانني أعتقد بأنه فعل نفس الشيء بالذي تملكه والدته.»

كان المركيز ينظر إليها بدهشة بينما تابعت هي: «لقد سرق لمرات لا تحصى ولا تعد، لكن وبما أنه في كل مرة لا تجد الشرطة تلك المسروقات، كان يُطلق سراحه لعدم توفر الأدلة.»

فقال المركيز بتعجب: «لم أكن أعلم بكل ذلك، لكنني أرى أنه من الخطأ أن يعلم الجميع بأن الأمر كان سهلاً حين كسر زجاج النافذة ودخل منه إلى المكتبة.»

صرخت أوديلا بجزع: «هل باعتقادك أنه قد يحاول أحد فعل ذلك من جديد؟ آه، يجب أن تكون حذراً! يجب أن تحمي كنوزك النفيسة!»

وافقها المركيز قائلاً: «هذا ما سأقوم به بالفعل، وسأعين حارسين ليلينّ ليسهرا على حراسة القصر وسلامته للمستقبل.»

شاهد الارتياح على ملامح وجه أوديلا، فأسرع يقول ممازحاً: «لذا عليك أن تحتاطي أنت أيضاً عندما تحاولين

www.rewity.com/vb

سرقة كتبي من المكتبة، وإلا سيلقى القبض عليك لا محالة!»

توسلت أوديلا قائلة: «آه، أرجوك، أرجوك أن تدعني اقرأها! فإنك لا تتصور كم كنت سعيدة في الأيام القليلة الماضية حيث كان باستطاعتي أن أمتطي دراغونفلي، وأتفرج على كنوزك في القصر، كذلك حين كنت اقرأ كتبك.»

فقال المركيز: «وتأملين أيضاً أن لا يكتشف أحد مكان وجودك.»

«لماذا... لماذا تقول ذلك؟»

«لأنها الحقيقة، أليس كذلك؟»

لم تتمكن أوديلا من أن تنكر الأمر أكثر فقالت مستسلمة: «حسناً، إنها الحقيقة، لكن أرجوك، أرجوك أن لا تسأل أسئلة أكثر من ذلك، وأن لا تخبر أحداً خاصة لضيوفك بأنني أعيش هنا في كومب كورت!»

فسألها المركيز: «هل أنت خائفة من أنهم قد يثرثرون بذلك في لندن وبأن من يفتش عليك قد يعرف أين أنت الآن؟»

صاحت أوديلا قائلة: «توقف! توقف! أنت فضولي جداً... أو ربما ذكيّاً للغاية... لا أدري!»

«إنني أحاول فقط مساعدتك!»

«يمكنك مساعدتي في أمر واحد فقط، وهو أن تنساني وتنسى أمري وأن تعود إلى قصرك وتحاول ألا تفكر بي بعد الآن.»

فأجابها المركيز: «تعلمين أنه من المستحيل علي أن أنفذ ذلك! كيف يمكنك أن تطلبي من أي رجل، خاصة من رجل تعتقدين بأنه ذكيّ، أن ينسى بأنه وجد تلك الحسناء النائمة، وهي تعيش في قصره، وهو أيضاً يعتقد بأنه كان غبياً للغاية

حين سنحت له الظروف كي يوقظها من نومها ولم يفعل!»

قالت أوديلا: «ستصعق المربية لو سمعتك تكلمني بمثل هذا الكلام!»

فعلّق المركيز قائلاً: «أعتقد بأنها كانت مربيتك أيضاً عندما كنت طفلة.»

صرخت أوديلا قائلة: «اذهب عني، إنك غريب حقاً، وإذا كنت حقيقياً... ولم تخرج من تلك اللوحة، إذاً فأنت من المؤكد وهمي... ولا أريد أن... أعرفك!»

ضحك المركيز وقال: «هذا هراء! إنك فرحة بمعرفتك بي كما أنا مسرور بمعرفتي بك، وإذا اضطررنا لأن نلتقي سراً، يمكنني المجيء دائماً إلى هذا المكان.»

لم تجب أوديلا، فتابع يقول: «لا، أعتقد أنها ليست بالفكرة الصائبة، فهذا المكان معروف ومقصود لروعة مناظره، ولكن هناك فكرة أفضل.»

تكلمت عند ذلك بحدة وقالت: «إنني لن أصغي إليك! لقد ربتني المربية بطريقة صارمة وأخلاقية، ولا خيار لي سوى أن أفعل ما تطلبه مني.»

أنذرها المركيز قائلاً: «إذا أخبرت المربية بذلك، فلسوف أخبر ضيوفي بهذه المصادفة الفريدة من نوعها.»

فقالت له متهمة: «إنك تحاول ابتزازي! كما أنك أسوأ بكثير من فريد كوتر!»

«ولكنني أجمل منه بكثير!»

ضحكت أوديلا من تعليقه ولم تستطع أن تتمالك نفسها، فاعتقد المركيز بأنه لم يصادف مرة فتاة بهذه الجاذبية تتمتع في الوقت نفسه بخفة الدم والعذوبة.

لقد كانت مختلفة تماماً عن أية امرأة أخرى كان قد عرفها. لذا قال لها: «اسمعي الآن يا أوديلا، بما انك تريدين التخفي فأنا أرحب بقيامك بذلك في قصري، لذا عليك أن تعديني، وهذا بالأمر العادل، بأن لا تختفي عني أنا بالذات.»

اعترضت أوديلا قائلة: «لكن الخدم... من المؤكد بأنهم سيعرفون، وكما تعلم، أنهم يثرثرون أكثر من أي كان.»

فقال المركيز: «هذا صحيح، ويعني أيضاً، انه ليس بإمكاننا أن نلتقي داخل القصر، بل خارجه.»

«لن نلتقي أبداً!»

«فكري كم قد يكون الأمر سيئاً، لو أننا وبعد هذه المحادثة الشيقة، تمتطين أنت جوادك من جهة، وأنا من جهة أخرى، ونقرّر بأن لا نرى بعضنا البعض من جديد.»

بعد أن تفوّه بهذه الكلمات، نظرت أوديلا إلى الأسفل وهي تشعر بالخجل، ثم قالت: «إنه ما ينبغي علينا أن نفعله.»

فسألها المركيز: «كيف يمكنك أن تتصرفي على هذا النحو؟»

شعرت أوديلا بأنه على حق، فتابع المركيز يقول: «الذي اقترحه الآن، هو أنني سأسبقك إلى القصر كي لا يشك أحد بأننا كنّا قد التقينا.»

توقف قليلاً ليفكر ثم تابع: «وغداً، سأقول لضيوفي بأن الملكة طلبتني لأمر مستعجل في ويندسور.»

نظرت أوديلا إليه بدهشة بينما كان يتابع: «فلا أحد سيطرح أية أسئلة في هذا الموضوع، لذا سأعود إلى لندن وهم بصحبتي بعد أن نتناول طعام الغداء.»

سألته أوديلا: «كيف يمكنك أن تفعل ذلك؟»

أجابها المركيز: «بغاية السهولة والبساطة، إنها مسألة تنظيم وادارة لا أكثر، واريدك متى رحلنا عن القصر، أن تقومي على حراسته لحين عودتي.»

ابتسم لها قبل أن يتابع: «يمكنك أن تأخذي كل الكتب التي في المكتبة، لكنك لن تجدين الوقت الكافي لقراءتها جميعها قبل أن أعود.»

«ومتى... متى سيكون ذلك؟»

خرجت هذه الكلمات من فمها دون قصد، فأجابها المركيز: «الأحد القادم، كما أنني سألتقي بك بعد الغداء عند الفولي، هل تعرفين أين ذلك؟»

أجابت أوديلا: «شاهدته من بعيد، إنه بعد غابة أخرى تملكها وهي جميلة كجمال هذه الغابة.»

فقال المركيز: «ليس تماماً، لكن الفولي في الجهة الأخرى منها، ولقد طلبت منذ سنوات عديدة بألا يقترب منها أحد لأنها غير آمنة.»

تساءلت أوديلا قائلة: «تقول غير آمنة؟»

أجابها: «ليس الآن، لقد أضفت عليها تحسينات كثيرة وأنفقت أموالاً طائلة. حتى أصبحت على ما هي عليه الآن.»

«ولا أحد يذهب إليها؟»

«لم أرَ سبباً يدعوني لأن أجعل منها مكاناً لالتقاء الاصدقاء الذين قد يحفرون اسماءهم على جدران المبنى الذي في وسطها وخاصة بعد أن أصلحتها جميعاً.»

ابتسم لها ثم تابع: «ولا حتى للأولاد الذين قد يلهون أنفسهم بإشعال النار، أو ربما يسقطون من أعلى المبنى،

فاضطر عند ذلك أن أدفع مالاً لأجل عظامهم المهشمة.»

ضحكت أوديلا وقالت: «افهم جيداً عذرك، كما إنني أعتقد بأنهم أنانيّون بعض الشيء!»

فقال المركيز: «لا أبداً، إنني فقط أحاول أن يتمكن أحد من الشك بأننا هناك.»

اعترضت أوديلا قائلة: «لم أقل بعد بأنني سألتقي بك هناك.»

«لا يمكنني أن أصدق بأنك قاسية القلب لهذه الدرجة لشيء قد يفرحنا معاً.»

فقالت أوديلا: «لكن فكّر بالمربية وكيف أنها لن توافق على ذلك فيما لو عرفت بهذا الأمر!»

أدركت بينما كانت تتفوّه بهذه الكلمات، بأنها لن تتمكن من أن تمنع المركيز في تنفيذ خطته.

فمهما كنت الصعوبات التي قد تواجهها، فهي ستمتطي جوادها إلى الفولي الأحد القادم.

الفصل السادس

سرّت أوديلا عندما أخذ الخدم يتوافدون إلى المربية ليعبرون لها عن دهشتهم بخبر رحيل المركيز غير المتوقع.

ومما قاله رئيس الخدم بفرح: «صحيح اننا نفرح لمجيء السيد، ولكن بالطبع دون ضيوف من هذا النوع، وأؤكد لك بأن السيدة بيتون، تشتعل غضباً من قراره المفاجيء هذا!»

ذهبت أوديلا إلى المكتبة بعد رحيل الجميع، وأخذت تمعن النظر في رسم الإيرل الأول الذي عاد إلى مكانه السابق، وتمكّنت الآن أكثر من ذي قبل أن تلاحظ الشبه الكبير بينه وبين المركيز الحالي.

ثم قالت بينها وبين نفسها: إن الاثنين بارعان!

ووجدت صعوبة في الابتعاد عن اللوحة والذهاب إلى الرفوف التي صفّت فوقها الكتب، كان زجاج النافذة قد أصلح، كما أنها كانت قد علمت بأن هناك الآن حارسان ليليّان يراقبان ويحرسان القصر طوال الليل.

فكّرت بسعادة بأنها الآن وبعد أن تعرّفت إلى المركيز، يمكنها أن تقرأ كتبه في أي وقت، فلن تخشى شيئاً كلما تسلّلت إلى المكتبة في الظلمة.

وقالت للإيرل الأول قبل أن تغادر المكتبة وهي تشعر بنشوة الانتصار: «لقد أنقذتك أيها الإيرل.»

كانت أوديلا تنتظر يوم الأحد بفارغ صبر، رغم أنها كانت توبخ نفسها لتصرفها السخيف وتقول لنفسها: «لربما

ومن دون شك، قد يؤخر المركيز عودته من لندن، أو ربما يقرّر بأنه لا يرغب بالعودة على الإطلاق.»

لكن غريزتها أنبأتها بأنه سيعود وسيلتقي بها في الفولي كما قال لها.

وعندما جاء يوم الأحد، دخلت على المربية لتتناول فطور الصباح معها والتي بادرتها بالقول: «لقد عاد السيد في ساعة متأخرة من الليلة الماضية، وهذا يعني أن عليك أن تتواري عن الأنظار وأن لا تدعيه يراك.»

فعلّقت أوديلا قائلة: «أعتقد بأنه مشغول، وإلا لما عاد، لكنه لن يتمكن من أن يراني لو خرجت من الباب الخلفي، وأنت تعلمين كم أتوق في أن أمتطي جوادي دراغونفلي.»

ناقشت المربية في هذا الأمر، وقالت أخيراً بحزم: «لقد طلبت عربة خيل وسنذهب جميعاً في نزهة، لأن الصغيرة فتاة طيبة وعاقلة.»

فأخذت أوديلا ترجو في قلبها بألا يُكتشف أمرها وأن تبقى في كومب كورت مع مربيتها، وتأكّد لها بأن والدتها تسمع رجاءها، وبعد عودتهم من تلك النزهة، شعرت بسعادة كبيرة، لكنها رفضت وتجاهلت النداء في داخلها والذي كان يقول لها بأن سبب سعادتها هو لقاءها المرتقب مع المركيز.

ارتدت ملابس ركوب الخيل والسعادة لا تفارقها، ثم قالت بينها وبين نفسها: يا لسخافتي، من أكون ليفكر المركيز بي، فمن المؤكد بعد لقائي به اليوم سيعود إلى لندن وينساني.

لكنها كانت تعلم جيداً بأنها لن تنساه وستفكر به دائماً، خاصة في كل مرة تدخل فيها إلى المكتبة.

سرّج السائس لها دراغونفلي، فامتطته واتخذت طريقاً

أبعد إلى الفولي لكي تبعدها عن الأعين المتطفلة في القصر، إلى أن اقتربت من هدفها، وبدت لها الغابة رائعة وجميلة، ولكنها لم تجد أثراً للمركيز أو لجواده، وكلما أخذت بالتقدم أكثر، خامرها شعور بأنه نسي أمرها!

وعندما نزلت عن صهوة جوادها، فاجأها المركيز الذي كان يقف عند باب مدخل المبنى بالقول هاتفاً: «لقد جئت! كنت أخشى بأن تكون نسيت الموعد الذي بيننا!»

فقال أوديلا: «لقد اعتقدت نفس الشيء! خاصة عندما لم ألمح جوادك.»

أجابها المركيز: «لقد أخفيت سارسن في الجهة الأخرى، وهناك أيضاً سأضع جوادك دراغونفلي.»

ثم أمسك برسن دراغونفلي وقاده حول المبنى بينما دخلت أوديلا إلى داخل المبنى، وعندما لمست روعة ما في الداخل، أدركت السبب الذي دعا المركيز بمنع الزوار.

كان في الداخل أشغالاً من الموزاييك المزخرف في كل مكان، والأرض مرصوفة بدقة واتقان، كما أنها وجدت أيضاً في الوسط نافورة للمياه في حوض متوسط الحجم، وأدركت أوديلا بأن من ابتدعها لا بدّ وأن يكون فنان أصيل.

كما كان هناك مقاعد حجرية، فجلست على إحدى هذه المقاعد تنتظر المركيز.

عاد المركيز يمشيء ببطء نحوها، ثم قال: «لقد أحببت الفولي منذ أن كنت طفلاً، لكنني عندما جدّدته، وجدت بأنه ينقصه شيء، والآن عرفت بأنه أنتِ من ينقصه!»

أجابت أوديلا: «إنه أفضل اطراء سمعته لغاية الآن، كما وانني أعترف بأن هذا الفولي خاصتك رائع!»

فقال المركيز: «هذا ما أعتقده أنا أيضاً.»

كان يكلمها وينظر إليها طوال الوقت، جلس قرب الحوض لتكون أمامه مباشرة، وقال: «أخبريني الآن بكل ما كان يجري في غيابي!»

ضحكت أوديلا وقالت: «لا شيء البتة! وعلى ما أعتقد بأننا عانينا الكثير من تلك السرقة وهذا يكفينا ليس لغاية الآن فقط، بل إلى امد طويل!»

فسألها: «هل ستبقين معي إذاً إلى امد طويل؟»

خجلت أوديلا من كلامه وأجابت بعد تردّد بسيط: «مهما حصل، أعلم بأنني لا أستطيع أن أفرض نفسي عليك.»

«تعلمين جيداً بأنك لا تفرضين نفسك عليّ أو على أي أحد آخر، لكن أود لو أنك تأتمنينني على سرك.»

مالت أوديلا برأسها وقالت: «قد... قد يكون في ذلك خطأ كبير.»

«لماذا؟»

فكرت للحظات قليلة قبل أن تجيب: «لأسباب عدة، ولا أرغب بالتحدث عنها مهما كانت الظروف!»

فقال المركيز: «إنك محقة في ذلك، لكنني أتوقع بأنك تعرفين ما الذي أريد أن أكلمك بشأنه في الفولي!»

سألته أوديلا ببراءة واضحة: «ما قد يكون ذلك؟»

نهض من مكانه وقادها ليتجها إلى القسم الأخير من المبنى، حيث وجدت حفراً رائعة على الحائط لم تلاحظه عندما دخلت.

لقد حفر على الحائط امرأة ورجل ينظران إلى بعضهما البعض، وعلى رأسهما ثلاثة طيور، وكل طير يحمل بمنقاره إكليلاً من الزهر.

فسألها المركيز: «بماذا يتحدثان حسب اعتقادك؟»

أجابت أوديلا بتردد: «إنني معجبة بالطريقة التي حُفرت بها هذه المنحوتة.»

فقال المركيز: «إنني أنتظر ردّك على سؤالي.»

نظرت أوديلا إليه، ثم أبعدت نظرها عنه وقد شعرت بالخجل الشديد.

لكن وفي تلك اللحظة الحاسمة، سمعا وقع خطوات من خلفهما، وعندما حاولت أن تلتفت، أمسك أحدهم بذراعيها وسحبها إلى الخلف.

أدركت وهي في حالة من الذعر الشديد، أن نفس الطريقة أُستعملت مع المركيز بواسطة رجل ضخم، وعندما حاولت أن تفلت من يدي ذلك الرجل، سمعت صوت رجل آخر يقول: «لقد عرفت يا سيدتي، بأنك أنت من تعرّف علي، وهذا شيء سوف تندمين عليه لاحقاً!»

لقد كان المتكلم فريد كوتر!

شعرت أوديلا عندما رأت ملامح وجهه القاسية، بارتجاف شديد من مفاصلها.

كان المركيز في تلك الأثناء يناضل ويكافح ليتخلص من ذلك الرجل الضخم الذي أخذ يلفّ جسده بحبل متين.

قام فريد كوتر بنفس الشيء معها وقد أحكم شدّ الحبل حولها قبل أن تتمكن من أن تتفوّه بكلمة اعتراض واحدة، ثم سحبها ليمددها على الأرض، كما فعل الرجل الضخم الآخر بالمركيز.

كان المركيز في تلك الأثناء يصب فوق رأسهم كل ما هناك من كلمات الشتائم واللعنات، فاضطر الرجل الضخم، أن يربط فمه بمحرمة أخرجها من جيبه.

فصرخت أوديلا بحنق: «توقف! لا يحق لك أن تفعل ذلك!»

عندها، اضطر فريد كوتر أن يحكم رباطاً على فمها أيضاً كما فعل الرجل الضخم بالمركيز، ومنعها من التفوّه بأية كلمة أخرى.

ثم قال فريد كوتر: «والآن، إنكما ستقومان معاً برحلة قصيرة إلى مكان سري حيث لن يتمكن أحد من العثور عليكما.»

وعندما انتهى من كلامه، قاد أوديلا ومشى بها بمحاذاة الحوض وإلى باب المبنى، فتساءلت عن ذلك المكان السري وأين عساه يكون، لكنها اعتقدت عندما خرجوا جميعاً إلى الخارج، بأن المكان السري هو حتماً في الغابات.

لدهشتها، وجدت أن فريد كوتر يتجه إلى جانب آخر من المبنى ثم يتوقف عن التقدم أكثر. ثم أجلسها بعد ذلك على الأرض ليسحب غطاء حديدي مستدير الشكل، وبعد لحظات قليلة، اختفى في جوف الأرض.

أما الرجل الضخم الذي كان يمسك المركيز فقد وضعه أرضاً، ليحمل أوديلا وينزلها في تلك الحفرة بينما التقطها فريد كوتر الذي كان ينتظره في الداخل.

كان الظلام دامساً داخل الحفرة ولم تتمكن أوديلا من رؤية أي شيء حولها، فأدركت بأنها داخل قبو يقع تحت المبنى مباشرة.

لمحت ضوءاً باهتاً ينبعث من مكان مجهول، تمكنت بواسطته أن ترى فقط ظلالاً أمامية يصعب معرفة ما قد تكون.

عاد فريد كوتر ووضعها على الأرض، ليتمكن من أن

يسحب المركيز إلى القبو، ووضعه إلى جانبها على الأرض، ووقف ينظر إلى وجهيهما بملامح وجهه الشريرة والحاقدة، ثم قال بسخط: «ستبقيان هنا، إلى أن أعود وأرى بأن الديدان نالت منكما، وسيكون ذلك درساً لكما كي لا تتدخلا في شؤوني مرة أخرى!»

ثم ضحك بصوت عالٍ بشع، فتردّد الصدى في القبو. الأمر الذي جعل أوديلا ترتجف بخوف شديد. صعد بعد ذلك بواسطة سلم حديدي إلى خارج القبو حيث كان صديقه الضخم بانتظاره.

سمعت أوديلا بعد وقت قصير قعقعة صوت الغطاء الحديدي الذي أعيد إلى مكانه خارج القبو، ثم تناهى إلى سمعها خشخشة الحجارة والأتربة، فأدركت بأن فريد كوتر وصديقه كانا يغطيان الغطاء الحديد بهما، وبذلك لن يتمكن أحد أن يلاحظ فيما لو جاء صدفة إلى هذا المبنى.

غمرها خوف وقلق شديدين، خاصة وأن المركيز كان قد سبق وقال لها بأنه منع أي كان من الاقتراب من الفولي، لذا فهذا الأمر يسرّ فريد كوتر كل السرور.

ثم تساءلت ما قد عساه أن يفعل بشأن الجوادين، ففكرت أنه وبقليل من الحظ، لن يلاحظ بأنهما هناك. كما أنه من المؤكد، بأن أحداً ما قد يراهما في ذلك المكان أخيراً، ويباشر في البحث عن مكان راكبهما.

أخذت تعتاد أكثر فأكثر على ظلمة القبو، إلى أن تمكنت من الرؤية بوضوح. دهشت عندما رأت ما يحيط بها من أشياء وأشياء. وأول ما لفت نظرها، كيس صغير قريباً منها، أما وراء ذلك الكيس، فقد وجدت إطاراً للوحة، بل

هناك أكثر من إطار. حوّلت نظرها إلى الجانب الآخر من القبو، لتجد مزهرية صينية غالية الثمن، كما أنها وجدت أشياء عديدة إلى جانب رزم لا تحصى ولا تعد.

أدركت عند ذلك فقط، لما لم يتمكن القضاء من اتهام فريد كوتر بالسرقات العديدة التي كان قد قام بها، لأنه وفي هذا المكان السري كان يخفيها، ولا يخرجها إلا عندما يجد تاجراً ليشتريها.

إنه حقاً عمل ذكي، لأنه أيّاً كان لن يعرف أو يخطر بباله، بأن هذه المسروقات موجودة هنا في قبو الفولي.

تحرك المركيز في تلك الأثناء بصعوبة، ففهمت أوديلا بأنه يحاول أن يرجع نفسه إلى الوراء كي يتمكن من أن يسند ظهره إلى الجدار. وبما أن أرض القبو كانت قاسية وغير مريحة، قرّرت أوديلا أن تقوم بنفس الشيء.

لكن الحبل المشدود حولهما، سبّب لهما آلاماً شديدة، وعندما حاولت أن تسند رأسها إلى الجدار، خطر ببالها فكرة لا بأس بها.

لقد ربط فريد كوتر قطعة من القماش حول فمها، لكن الرباط لُفّ حول شعرها الطويل الذي رفعته إلى الأعلى ولفته على شكل كعكة لتتمكن من أن تعتمر قبعتها بينما تمارس ركوب الخيل.

فكرت أنها قد تتمكن من حفّ رأسها على الجدار فيقع الدبوس الذي عقصت به شعرها، وإذا نجحت في هذه العملية، فمن المؤكد بأن الربطة حول فمها ستنحل هي الأخرى وتسقط عن وجهها.

بدأت تحرك رأسها صعوداً ونزولاً على الجدار، بينما

أخذ المركيز يراقب كل ذلك. وتمكنت بعد محاولات متعبة ويائسة، أن تسقط دبوسين من شعرها الطويل.

أخذت بعد ذلك تحرّك شفتيها بعنف شديد، فتدحرجت الربطة إلى ذقنها.

هتفت عند ذلك: «لقد تحرّرت! وسأتمكن الآن من أن أتكلم! كيف يمكن أن يحصل كل ذلك؟»

بالطبع، لم يتمكن المركيز من الإجابة على سؤالها، ولكنها كانت تعلم بأنه يودّ ذلك من صميم قلبه.

أخذت تدرس ملامح وجهه للحظات قليلة، ثم قالت: «لو كان بمقدورك أن تتحرك وتأتي إلى جانبي، فقد أتمكن من حل الربطة من خلف رأسك بأسناني.»

لم يكن قادراً على الإجابة، لكنه حاول أن يقوم بما اقترحته عليه، وتمكن بصعوبة شديدة، أن يدير رأسه ويقرّبه أكثر ما يمكن منها.

وجدت بأن المحرمة كانت مربوطة بقوة، ولم تتمكن من حلّها إلا بعد وقت طويل وقد شعرت بتعب شديد من بعد انتهائها من هذا المجهود الشاق.

هتف عند ذلك المركيز: «لقد نجحت!» ثم عاد بجسده إلى وضعه الأول قبل أن يتابع: «كيف يمكنك أن تكوني بهذا الذكاء؟ على كل، علينا الآن أن نفكر بطريقة للهرب من هذا المكان!»

فسألته أوديلا مستفسرة: «لكن... كيف؟»

أجابها المركيز: «بنفس الطريقة التي استخدمتها أنت يا أوديلا، سأفك الحبل الموثوق بك، فحاولي الآن أن تديري لي ظهرك.»

«هل تعتقد حقاً أن بإمكانك أن تقوم بذلك؟»

أجابها المركيز: «إنني سأحتاج إلى الكثير من الحظ وكذلك إلى تمنياتك.»

فأجابته أوديلا: «سأتمنى نجاحك بذلك من صميم قلبي... لكن هل يمكنك أن تتصوّر بأن يحدث مثل هذه المصادفة وهي أن نلتقي في المكان الذي يخبىء فريد كوتر مسروقاته؟»

قال المركيز: «ما اسأل نفسي به، كيف انني تصرفت بغباء وأظهرت له عطفي ومسامحتي، على كل حال، فإن هذا الشيء لن يحدث ثانية!»

فقالت أوديلا بنبرة مرتجفة: «طبعاً لن يحدث مرة ثانية، لأنه يعني... يعني بأن نموت معاً في هذا القبو.»

أجاب المركيز: «إذاً، ستخيب آماله، هيا أديري ظهرك!»

فعلت أوديلا ما طلبه منها، فأخذ المركيز يعمل بأسنانه على فك وحل الحبل الموثوق بها والذي كان سميكاً جداً.

فتأكد لأوديلا بما أن فريد كوتر وصديقه ربطاهما بهذه السرعة والمهارة، فأنهما يتمتعان بخبرة واسعة في هذا المجال.

ثم فكرت بينها وبين نفسها: ربما قد تركا عدداً لا يستهان به من أناس آخرين كي يموتوا بنفس الطريقة!

وبعد مرور ساعة أو أكثر، سمعت المركيز يهتف بنشوة المنتصر، فقد حلّ الحبل السميك، فشعرت أوديلا للوهلة الأولى بأن ما حصل يصعب عليها أن تصدقه.

أخذت تتحرك في كل الاتجاهات كي ينزلق الحبل عن

جسمها، إلى أن تحرّرت منه كلياً، فصرخت بسعاده: «لقد... لقد نجحت! لقد نجحت، والآن سأحل وثاقك!»

استدارت نحو المركيز وأخذت تحاول بمشقة أن تحل الحبل الذي أوثقه الرجل الضخم حوله. ثم طرأ على رأسها فكرة أخرى، إنه ربما قد يكون من الأسهل عليها أن تفتش على شخص ليساعدها في هذه المهمة الصعبة بالنسبة لها.

لكنها وجدت أنه سيكون من الذل والعار أن يُكتشف المركيز في القبو وهو على هذه الحالة من الضعف واليأس.

فسألته وهي تأمل خيراً: «هل تحمل معك سكينة؟»

أجابها المركيز: «لقد فكرت بأمر السكينة، وشتمت نفسي لأنني أعتقدت بأن ذلك ليس ضرورياً.»

سألته أوديلا: «ولكن من أين كان ليخطر ببالك أن يحدث أمر من هذا النوع؟»

خطر في رأسها فكرة أخرى، وحوّلت نظرها إلى كومة الأشياء التي سرقها فريد كوتر، ثم قالت: «سأبحث بين هذه المسروقات لعلني أجد سكيناً أو أي شيء آخر يمكنني بواسطته قطع الحبل.»

إنها لا تريد أن تجعل المركيز يشعر باليأس من حالته هذه، لكنه كان من المستحيل عليها أن تفك الحبل السميك بأناملها الصغيرة التي لا تعرف سوى العزف على البيانو.

لم تنتظر موافقته على اقتراحها، بل قفزت من مكانها وأخذت تفرغ الكيس من الأشياء واحداً تلو الآخر من الأدوات الفضية والنحاسية، كذلك كان في الكيس رسوماً لأشخاص من المؤكد أنهم من سلالة عريقة مثل الرسوم التي في كومب كورت.

www.rewity.com/vb

لكنها وعندما بدأت تشعر بخيبة الأمل من أن تعثر على أي شيء حاد، وجدت صندوقاً طويلاً من الجلد الثمين.

فتحته ثم صرخت بارتياح وبهجة، فأسرع المركيز يسألها: «ما الذي عثرت عليه؟»

أجابته أوديلا: «أداتان من أدوات النحت!»

أمسكت بإحدى الأداتين، لكنها وبينما كانت تفعل ذلك، لاحظت بأنه حُفر على مسكة الأداة اسم شركة عريقة في لندن.

لكن محور اهتمامها كان محصوراً بالجزء الطويل والحاد منها، فأسرعت إلى المركيز وجلست إلى جانبه، ووجدت كم أن الأداة حادة لدرجة أنها أنهت عملية القطع في خلال دقائق معدودة، فتحرّر من الحبل وأبعد بعضاً من أجزائه بعيداً عنه، ثم قال: «أشكرك يا عزيزتي! فأنا لا أصدق بأن أية امرأة أخرى في العالم يمكنها أن تتصرف بهذه المهارة!»

خجلت أوديلا من كلامه كعادتها كلما كان يمتدحها، وشعرت بشعور غريب لكنه في الوقت نفسه يغمرها بسعادة لم تذقها من قبل، وأدركت عندها لماذا كانت تشعر بالسعادة من اللقاء به في الفولي.

نظر المركيز إليها وهي في هذه الحالة من الخجل الشديد وابتسم لها ابتسامة عذبة، فأشاحت بوجهها عنه من جديد دون أن تتمكن من التفوه بكلمة واحدة، ثم وعندما نظرت إليه، وجدته ما زال يبتسم لها وعيناه تلمعان كلمعان النجوم في السماء.

نهض المركيز قائلاً: «هيا نخرج من هذا المكان، إنني

لم أمرّ في حياتي بتجربة مثل هذه، والشكر الجزيل لك لأننا بقينا على قيد الحياة.»

بما أن سقف القبو كان منخفضاً، اضطر المركيز أن ينحني برأسه ليتمكن من المشي باتجاه الغطاء الحديدي للقبو الذي دفعه بقوة وتمكن من أن يفتحه ويخرج منه، وعندما أصبح فوق سطح الأرض من جديد، مدّ يده ليساعد أوديلا بالخروج أيضاً.

قال بعد أن أصبحت هي الأخرى فوق سطح الأرض: «هناك الكثير من الكلام أودّ أن أقوله لك، لكن علينا أولاً أن نمسك ونسجن ذلك الشرير فريد كوتر قبل أن يقوم بأعمال شريرة أخرى!»

وافقته أوديلا قائلة: «نعم... بالطبع.»

شعرت في الوقت نفسه، بأنه لم يعد أي شيء يهمها طالما هي إلى جانب المركيز، واعترفت بينها وبين نفسها بأنها تميل إليه.

قال المركيز فجأة: «سأجلب قبعتينا.»

انتظرت أوديلا في الخارج، بينما دخل المركيز إلى داخل المبنى. وعندما وقفت تستمتع بأشعة الشمس الدافئة، وجدت أنه يصعب عليها أن تصدق بأنهما كادا أن يموتان في القبو دون أن يعرف أحد بأمرهما.

خرج المركيز من داخل المبنى ومشيا معاً إلى الجهة الخلفية منه. وكما أملت أوديلا بألا يكون فريد كوتر قد اكتشف أمر الجوادين دراغونفلي وسارسن، وجدتهما في مكانهما الأول حيث تركهما المركيز.

لم تدرك أوديلا بأن شعرها منسدل على كتفيها، إلا

عندما اقتربا من الجوادين، الأمر الذي دعا المركيز لأن يقول: «هكذا أريدك أن تبدين دائماً، وكما كان يجب أن تبدين عندما رأيتك لأول مرة وخلتك بأنك الحسناء النائمة!»

ضحكت أوديلا بخجل وبيدٍ مرتجفة، حاولت أت تصلح من شأن شعرها فرفعته إلى الأعلى وعقصته بدبوسين كانا ما يزالان في رأسها، ثم اعتمرت قبعتها التي تنسدل منها حجاب.

فقال لها بهدوء: «أعتقد بأنك تعلمين كم كنت تبدين رائعة، ولكنني سأعبر لك عن ذلك متى سنحت الظروف.» ثم صعد على صهوة جواده سارسن قبل أن تتمكن من الاجابة.

أدركت أوديلا أن السبب لشدة نبضات قلبها عائد إلى تلك النظرة في عينيه وإلى الطريقة التي كلمها بها. ولم تتكلم معه إلى عندما قطعا شوطاً كبيراً داخل الغابة ثم قالت: «من الأفضل لنا... أن لا... نعود معاً إلى كومب كورت.»

أجاب المركيز: «لقد كنت أفكر بهذا الأمر، لذا فستعودين أنت إلى القصر، بينما أذهب أنا إلى رئيس الشرطة كونستبل لأطلب منه أن يلقي القبض على فريد كوتر وصديقه المجرم.» ظهر الذعر مليّاً على وجه أوديلا، فأضاف المركيز بسرعة: «سأحاول جهدي أن أبعد اسمك عن هذه القضية، إلا إذا أفصح فريد كوتر به، لأنني أرى أنه من غير المستحب أن يعرف أحد بأنك كنت أسيرة لديه.»

فأجابت أوديلا: «آه أرجوك... حاول أن تفعل ذلك...»

«نعم، بالطبع سأحاول.» قال المركيز ذلك ثم بدا مفكراً قبل أن يسألها: «في أية ساعة تخلد المربية إلى النوم؟»

«في وقت باكر، في الساعة التاسعة والنصف عادة.»

«إذاً، تأتين إلى المكتبة في الساعة العاشرة.»

«سأحاول...»

«سأكون بانتظارك، واطلب منك أن تعتني بنفسك أيتها الحسناء النائمة، وكوني على ثقة، بأنه لن يكون هناك من بامكانه أن يخيفك بعد اليوم.»

ابتسم لها، ثم رفع قبعته احتراماً وانطلق بجواده من ناحية أخرى، بينما قفلت أوديلا راجعة باتجاه آخر إلى القصر.

لقد أنقذا من الموت جوعاً، ربما لو لم يتمكنا من إنقاذ نفسيهما، لكان أحد ما قد وجد الجوادين، وباشر بالتفتيش عنهما، على أن يكون ذلك الشخص يتمتع بذكاء خارق ليدرك بأن لذلك المبنى قبواً يخفي فيه عادة فريد كوتر مسروقاته.

وفكرت كم أن الأمر قد يكون مذلة للمركيز عندما يعثر عليه مقيّداً ومسجوناً داخل القبو، واعتقدت بأنها قد تكون كارثة عظيمة.

عندها فقط، تساءلت، وكان ذلك للمرة الأولى، فيما إذا كان المركيز معجب بها بقدر ما هي معجبة به. فقد كان هو الرجل الذي طالما راود أحلامها، والرجل الذي كانت على ثقة بأنها ستلتقي به في يوم من الأيام.

لن يكون في حياتها عدا فتى أحلامها هذا، لكن بالنسبة إليه، كان هناك العديد من النساء في حياته، بمن فيهن تلك السيدة الجميلة بيتون التي كانت في ضيافته.

كان بإمكان أوديلا أن تتذكر ما قاله رئيس الخدم بشأن السيدة بيتون، كذلك بقية الخدم الذين توافدوا إلى المربية ليعبرو لها عن مدى جمال تلك السيدة.

وخشيت أن تكون تعيش في وهم وأن تتعرض بذلك إلى الأذى. فكيف بإمكانها في هذه الحالة أن تحتمل هذا الاحتمال، في حين أنها قد أصبحت متعلقة بالمركيز؟

فعندما أخذ يمتدحها ويطري على جمالها، شعرت بشعور غريب لم تشعر به يوماً في حياتها كلها وكأنها تعيش حلماً رائعاً رفرف له قلبها.

لقد شعرت كذلك حتى عندما كانا محتجزان في القبو ينتظران الموت، وفكرت بيأس بينها وبين نفسها: إنني معجبة به كثيراً، لذا فإن عقلي الراجح، يحتم علي من الآن أن أبتعد عنه وأختبىء في مكان آخر!

لكنها أدركت بأنها لا تستطيع أن تفعل شيئاً مخيفاً كهذا، فهي وعندما هربت من منزل والدها، لم تكن تخشى شيئاً، لأنها كانت تعلم بأنها ستأتي إلى مربيتها حيث ستكون بأمان، لذا، فإذا هربت الآن من جديد، ربما قد تصادف شخصاً آخر مثل فريد كوتر ويسبب لها المتاعب.

ففكرت فجأة، لو أن المركيز يهتم بها فقط لجمالها، فهي من المؤكد تتمنى الموت لنفسها.

لكن بالرغم من ذلك كله، شعرت، وذلك الشعور يفيض من أعماق قلبها، بأنها لن تعجب برجل آخر بنفس الطريقة التي تُعجب بها الآن بالمركيز.

الفصل السابع

دخل المركيز إلى المكتبة في الساعة العاشرة إلا ربعاً، وقد أضاء شمعدان حمله بيده، حتى انه أضاء شمعدانين آخرين في داخلها، ثم جلس يتأمل صورة سلفه الكبير.

خشي من أن تكون أوديلا ما تزال متوترة الأعصاب بعد الذي حصل معهما وان لا توافيه إلى المكتبة كما اتفق معها. ولكنه وبعد انتظار دام خمسة عشرة دقيقة، فُتح الباب ودخلت أوديلا منه، ولدهشته الشديدة وجدها، تربط شعر رأسها إلى الوراء.

كانت ترتدي ثوباً بسيطاً، وأسرعت إليه لاهثة لتقول: «لقد جئت فقط... لأقول لك... بأنني لا أستطيع... أن آتي إليك... كما طلبت مني.»

أجابها المركيز: «ولكنك هنا!»

«فقط لأقول لك... بأنني لا أستطيع المجيء...»

نظر المركيز إليها بدهشة بينما تابعت تقول: «إن بيتي الصغيرة متعبة... ولم تستطع المربية أن تخلد إلى النوم... فجاءت إليّ وساعدتني على النوم...»

فقال المركيز: «فهمت، ولكن وفي الوقت نفسه، فانني متأكد بأن المربية تعتقد أنك نائمة الآن، ولن تزعجك بالدخول إلى غرفتك مرة أخرى.»

«لا يمكنني أن أتأكد من ذلك.»

فقال المركيز مبتسماً: «حاولي أن تجربي ذلك، فأنا

متأكد بأنك تريدين أن تعرفي ماذا حصل لفريد كوتر.»

وافقته على الفور: «نعم بالطبع، أريد أن أعرف، لكنني أشعر بالخجل منك وأنا أرتدي مثل هذا الثوب البسيط.»

أجابها المركيز: «انسي هذا الأمر الآن، ودعيني أخبرك بالذي جرى بعد أن افترقنا عن بعضنا البعض في الغابة.»

وبما أن أوديلا تتمتع بالفضول الشديد، جلست على كرسي من الجلد الوثير مقابل المركيز، يفصلهما عن بعض المدفأة الكبيرة.

ظهر على وجهها الاهتمام بينما كانت تنتظر ما سيخبرها المركيز به وقرّرت بينها وبين نفسها أن لا تفوتها لا شاردة ولا واردة من حديثه.

فبدأ المركيز يقول: «ذهبت إلى حيث قلت لك بأنني ذاهب، مباشرة إلى رئيس الشرطة كونستبل الذي يسكن على مسافة ميلين من هنا، ولحسن حظي، وجدته هناك يقوم باستشارات مع أعضاء قوى الشرطة.»

صدر من أوديلا هتاف، ولكنها لم تقاطعه بأية كلمة.

فتابع المركيز: «بعد أن عرضت على رئيس الشرطة مشكلتي، توجهنا جميعاً مع اعضاء قوى الشرطة إلى حيث يسكن فريد كوتر، وألقينا القبض عليه مع رجل يدعى الكف الأحمر!»

ألت أوديلا مستفهمة: «تقول الكف الأحمر؟»

أجابها المركيز: «إنه شاري، ولقد ضبطناهما يتساومان على قطعة ثمينة من الجواهر والتي كان قد سرقها فريد كوتر في وقت مضى.»

فقالت أوديلا بصوت منخفض: «هكذا كنت دوماً أفكر بالطريقة التي يتصرف بها بمسروقاته.»

فقال المركيز مؤيداً كلامها: «لقد كنت محقة في ذلك، وها هو الآن فريد كوتر، خلف قضبان سجن أوكسفورد.»

هتفت أوديلا بسعادة: «آه، إنني راضية كل الرضى على ما وصل إليه.»

تابع المركيز: «لقد أصاب صديقه الضخم نفس الشيء، وعلمت مصادفة، بأنه كان ملاكماً في وقت من الأوقات.»

ذعرت أوديلا وقالت: «لقد كان بإمكانه أن يؤذيك!»

وافقها المركيز قائلاً: «لقد كان بإمكانه ذلك حقاً، لكنه في الحقيقة رجل غريب الأطوار وكذلك أبكم!»

تذكرت أوديلا بأن الرجل الضخم لم ينطق بكلمة واحدة طوال الوقت.

فتابع المركيز يشرح الأمر: «لقد علمت أيضاً، بأنه كان يوماً يلاكم شخصاً آخر بحجمه، عضّ على نصف لسانه فشطره إلى قسمين، وبعد أن أجرى الأطباء له عملية جراحية، لم يستطع أن يتكلم من جديد.»

فقالت أوديلا: «لا بدّ وان الأمر كان صعباً عليه، كما وانه وفي الوقت نفسه، رجل مخيف جداً بسبب ضخامته تلك!»

«بما انه داخل السجن الآن مع فريد كوتر، أعتقد أن علينا ألا نفكر به وننسى أمره.»

ظهر على أوديلا القلق عندما سألته: «هل تعتقد أنه لن يعود بمقدورهما تهديدك بعد اليوم؟»

أكّد المركيز حين قال: «ولا حتى أن يسببا لك الخوف منهما، وقد وافق رئيس الشرطة كونستبل، بأن لا يُذكر اسمك في التحقيق، أما بالنسبة إلي، وربما انني لا أحب الكذب

www.rewity.com/vb

في شهادتي، قلت فقط بأنك صديقة للعائلة وبأنك حللت عليّ ضيفة من لندن.»

فقالت أوديلا: «آه أشكرك... أشكرك... لقد كنت أخشى بأن...»

لكنها توقفت عن متابعة كلامها مستدركة، فسألها المركيز مستفهماً: «ممن كنت تخشين؟»

«لا... لا أريد أن... أتكلم بهذا الموضوع.»

ظهر الاهتمام جلياً على وجه المركيز وقال: «لقد مررنا معاً بتجربة قاسية ومريرة يا أوديلا، فلماذا لا تزالين غير واثقة مني بعد؟»

وعندما لم يسمع منها أي جواب تابع يقول: «أنت تعلمين بأنني قد أقوم بأي شيء لأجلك وخاصة إذا كنت تحتاجين إلى المساعدة، ليس ذلك فقط لأنني أشعر بالأسف تجاهك، بل لأجل سبب آخر أيضاً.»

فسألته أوديلا: «ما عساه أن يكون يا ترى؟»

عندما طرحت عليه هذا السؤال، التقت نظراتها بنظراته، وشعرت بأنه يدرك ويعي كم أنها معجبة به.

انتظرت الإجابة على سؤالها، وقبل أن يتمكن من ذلك، فُتح فجأة باب المكتبة.

أسرع المركيز عند ذلك ووقف، واطمأن بأن أوديلا تجلس على مقعد عال ظهره إلى الباب، لذا لن يتمكن من كان داخلاً أن يراها.

كان الداخل إلى المكتبة، نيوتن، فتوجه المركيز إليه، ثم سأله: «ما الذي تريده يا نيوتن؟ فأنا مشغول الآن!»

أجاب نيوتن: «آسف لإزعاجك يا سيدي، لكن هناك سيدة وسيد وصلا في الحال ويرغبان في مقابلتك.»

دهش المركيز وقال: «في هذه الساعة المتأخرة من الليل؟ من هما؟»

«إنها كونتيسة شالفورد والفيكونت مور يا سيدي.»

لم يجب المركيز، فتابع نيوتن: «ولقد قالا لي، بأن الأمر في غاية الأهمية ويرغبان في مقابلتك على الفور!»

فأمره المركيز: «قدّم لهما شراباً منعشاً، وقل لهما بأنني سأوافيهما خلال دقائق.»

«حسناً يا سيدي.»

خرج نيوتن من المكتبة، ثم التفت المركيز إلى ناحية أوديلا فوجدها تقف باضطراب وتتقدم نحوه لتقول بنبرة هامسة ومتخوفة: «يجب أن أختبىء... أرجوك... لقد جاء لأجلي... لكنني لا أستطيع أن أذهب معهما! آه أرجوك... أخبئني!»

وأخذت الدموع تترقرق في عينيها وأصابتها رعشة سببها الخوف الشديد.

فسألها المركيز بهدوء: «لماذا يريدانك؟»

«إن الكونتيسة تكون زوجة والدي... كما وانها تصر على أن تزوجني من الفيكونت... كما أنه...»

توقفت أوديلا عن الكلام كأنها تخجل من الاعتراف للمركيز بالذي تعرفه، ولكنها استجمعت شجاعتها وتابعت: «إنه مغرم بها!»

دهش المركيز وقال: «لكن لماذا؟ لماذا ترغب زوجة والدك بأن تقوم بمثل هذا الشيء؟»

أجابت أوديلا: «لأن والدتي تركت لي... مبلغاً كبيراً من المال... والفيكونت رجل فقير.»

فقال المركيز: «أعرف بأن والدك رجل عاقل ومميز، فمن المؤكد أنه لن يسمح بشيء كهذا.»

«إنه... إنه دائماً يفعل ما تريده زوجته... كما وانها عندما تصرّ على أمر ما... لا يمكن لأحد أن يعارضها فيه.»

تابعت أوديلا بصوت خنقته الدموع: «أرجوك، أرجوك أت تخبئني... وبسرعة! فانا أفضل أن ألاقي حتفي من أن أتزوج رجلاً غير...»

توقفت عن الكلام مستدركة ما الذي كانت على وشك أن تكشفه أمامه.

فقال بهدوء: «اصغي إلي الآن، أريدك أن تبقي هنا حيث ستكونين بخير، ولكي أكون أكيداً من ذلك، سأقفل الباب جيداً وأبقي المفتاح معي.»

ابتسم لها ليتابع بعد ذلك: «سأتخلص منهما وعندما أعود سأخطط معك كيف يمكننا أن نمنع زوجة والدك من القيام بأي شيء مشين كإصرارها على أن تزوجك من شخص لا يروق لك.»

سألته أوديلا برجاء: «هل تعدني بأنك لن تقول لهما أين أنا الآن؟»

واجه المركيز سؤالها بسؤال آخر: «هل ما زلت لا تثقين بي؟»

كانت في حالة لا يرثى لها من البكاء والأعياء، لكنه اعتقد وهي على هذه الحالة بأنها أحب وأجمل من أي فتاة كان قد قابلها في حياته كلها.

ثم تابع: «انتظري هنا، أعدك بأن كل شيء سيكون على أحسن ما يرام.»

خرج المركيز من المكتبة وأقفل الباب وراءه، فوضعت

أوديلا يدها على رأسها مفكرة كيف يمكن حصول كل ذلك وكيف تمكنت زوجة والدها من العثور عليها. فخطر ببالها أنه من المؤكد بواسطة فريد كوتر.

لقد كان فريد كوتر يعرف من هي، وبما أنه ألقى القبض عليه، فمن المؤكد أن خبر الحادثة قد أشيع في البلاد كلها، كما ان الناس ومن دون شك، يثرثرون بهذا الأمر في شلفورد هول.

ولم تستطع أن تصدق بأن زوجة والدها هي الآن في كومب كورت. تحركت بيأس بعيداً عن المدفأة لتجلس على الكنبة التي تواجهها مباشرة، لأنها ومن هذا المكان يمكنها أن ترى باب المكتبة، وفكرت، لو حاول أحد ما أن يدخل، يمكنها أن تختبىء خلف الستائر كالمرة السابقة التي دخل فيها فريد كوتر إلى المكتبة.

فكرت، لو تمكنت زوجة والدها من أخذها معها، ستعود من جديد أداة في يديها تفعل بها ما تشاء وسترى نفسها دون أن تشعر، زوجة للفيكونت.

أخذت تناجي والدتها قائلة: «ساعديني يا والدتي... ساعديني! ودعيني أبقى مع المركيز. وفكرت انها لو تحقق حلمها هذا، ستفعل أي شيء حتى لو اشتغلت خادمة في هذا القصر، لأنها متى كانت تحت سقفه، ستشعر بالأمان والسلام.»

ولم تستطع منع نفسها من القول بصوت عالٍ: «أحبه!»

إنها تعلم بأنه سينقذها، لكن هل سيتمكن من أن يتحدى زوجة والدها التي بإمكانها دائماً أن تحقق ما تريده بوسائلها الخاصة؟

شعرت بأنه قد مرّ دهر منذ مغادرته للمكتبة، وبدأت تشك

بأن زوجة والدها نجحت في أن تقنع المركيز لتعود معهما إلى شلفورد هول.

وصل إلى أذنيها بعد ذلك صوت وقع خطوات، فقفزت واقفة مذعورة، وأسرعت تعدو إلى آخر المكتبة قبل أن يُدخل المفتاح في قفل الباب، ثم اختبأت وراء نفس الستائر المخملية التي اختبأت وراءها ليلة دخول فريد كوتر إلى المكتبة بقصد سرقة اللوحة التي تحمل رسم الإيرل الأول.

دخل المركيز إلى المكتبة وأغلق الباب، ثم توجه إلى المدفأة حيث ترك أوديلا.

نادى عليها بلطف: «أوديلا!»

لم تلب النداء في بادىء الأمر، بل أخذت تسترق النظر من خلف الستائر لتتأكد أنه بمفرده، وعندما تأكدت من ذلك، هتفت بارتياح وأسرعت نحوه.

شعرت حالما وقع نظرها عليه، بأنه انتشلها من القعر الذي كانت تتخبط فيه تقدم نحو الكنبة ليجلس عليها ثم سألها: «لماذا لم تخبريني بهذا الأمر؟ كيف سمحت لتلك المرأة في أن تهدّدك بهذه الطريقة؟»

لم ترد أوديلا على السؤالين بل واجهته بسؤال آخر: «هل... هل تمكنت من صرفها؟»

«لقد صرفتها بعد أن قلت لها بأنني سأعيدك إلى المنزل بعد الغداء مباشرة.»

تجمّد الدم في عروق أوديلا وقالت: «هل حقاً وعدتها بذلك؟ كيف يمكنك أن تفعل شيئاً كهذا؟»

ابتسم المركيز: «إننا فقط، سنقوم بزيارتها، لكنها لن تستطيع أن تستبقيك هناك.»

صرخت أوديلا بيأس: «لكنها ستفعل... ستفعل! كما وانها ستُجبر والدي بأن يوافق على زواجي في الحال من الفيكونت!»

أجاب المركيز: «لسوء حظ الفيكونت، لن تتمكن من أن تفعل ذلك.»

«ما الذي تعنيه؟ إنه بالطبع سيوافق وذلك بناء على إلحاح زوجته.»

ابتسم المركيز وقال: «إنك تتصرفين بغباء يا عزيزتي! ومرة أخرى أجدك لا تثقين بي، لكن دعيني أقول لك بأنني أشد دهاء من زوجة والدك!»

صرخت أوديلا من جديد: «لكن... كيف؟ ما الذي تحاول أن تقول؟ فأنا لا أفهم شيئاً!»

أخذ المركيز يشرح لها ما حصل: «لقد تخلصت منهما بقولي إن الوقت متأخر لإزعاجك بينما أنت تنامين في غرفة الحضانة مع ابنة شقيقتي التي تشعر بالتعب.»

فكرت أوديلا أن ما قاله لهما، كان قولاً ذكياً، لكنها لم تعبر بذلك له، فتابع هو: «لقد عرفوا بأنك موجودة هنا، بواسطة فريد كوتر الذي كان يصب الشتائم فوق رأسك عندما ألقت الشرطة القبض عليه ومشت به في أزقة القرية.»

بان الذعر على وجه أوديلا، لكن المركيز تابع دون أن يعيرها أي اهتمام لذعرها هذا: «لقد أكدت لزوجة والدك بأنك بأمان وبصحة جيدة وبأنني سأحضرك إلى شلفورد هول غداً حيث تكون هي والفيكونت الذي أظهر حبه بجنون لك، ينتظرانك على أحر من الجمر.»

فقالت أوديلا عند ذلك بنبرة دلت على الانهزام: «إذاً... لقد صدقتها... لكن ما الذي قالته لك؟»

أجابها المركيز: «لقد كانت تكذب، كما انني لم أصدق كلمة واحدة من الذي قالته!»

«إذاً، لماذا تريد أن تعود بي؟»

«لأنني وقبل أن أعود بك، حيث سيسرني أن ألتقي بوالدك من جديد، سأتزوجك أيتها الأميرة العزيزة إلى قلبي!»

حدّقت اوديلا في وجهه وكأنها لا تصدق ما سمعته منه، فهمست: «تقول بأنك ستتزوجني؟»

أكد المركيز لها قائلاً: «لقد بعثت سكرتيري في الحال ليبلغ رجل الدين بأنني أريد الزواج غداً في هذا القصر في تمام الساعة العاشرة.»

ابتسم بلطف قبل أن يتابع: «بعد ذلك يا عزيزتي، سنذهب في رحلة شهر العسل، لكننا نتوقف أولاً في شلفورد هول لتقدميني إلى والدك.»

فقالت أوديلا وهي ما زالت لا تصدق: «لا... لا أصدق ما أسمعه منك... هل انني حقاً سأكون زوجتك؟ هل... هل تحبني؟»

فسألها: «وهل تشكين بذلك؟ إنني أعدك بحبي لك يا أوديلا! على كلٍ، فهذا أمر سوف أثبته لك متى أصبحت زوجتي.»

قالت له بنبرة مترددة: «هل أنت متأكد... قل لي هل أنت متأكد بأنك تريدني؟ إنني أحبك، أحبك من كل قلبي، ولكنني لا أريدك أن تتزوجني بدافع من الشفقة.»

ضحك المركيز بسعادة وقال: «هل حقاً تعتقدين بأنني قد أقوم بشيء أحمق كهذا؟ فلو كنت أشعر بالشفقة عليك فقط، لكنت ساعدتك في الهروب إلى أي مكان تشائين.»

ثم تابع بعمق: «لكنني أريدك أنت! أريدك كما لم أرد امرأة من قبلك، كما وإنني أعتقد، بعد كل الذي مررنا به معاً من معاناة، سنكون سعداء بالعيش هنا مع جيادنا، ومع أولادنا بالطبع.»

أدركت أوديلا بأن هذا هو الحب الحقيقي والذي كانت تتمناه لكي تصل إليه، وهذا الحب الذي يجمعهما ليس فقط رقيقاً وعذباً، إنما قوياً لا تقوى أية قوة بشرية من أن تنال منه بشيء.

وأرادت أن تقول له: «أحبك! أحبك!» ولكن ما من حاجة لذلك.

* * *

استيقظت أوديلا في الثامنة من صباح اليوم التالي، وكانت تعلم بأنها كانت تحلم بالمركيز. تناهى إلى سمعها قرقعة الصحون والفناجين، فأدركت بأنه يُعدّ فطور الصباح في غرفة الحضانة.

واعتقدت للوهلة الأولى، بأن ما جرى من حديث بينها وبين المركيز الليلة الماضية، كان مجرد حلم من الأحلام التي تدغدغ عادة خيالها.

نهضت من السرير، وبينما أخذت تغسل وجهها، دخلت المربية إلى غرفتها وسألتها: «أريد أن اعرف ما الذي يجري هنا... هذا ما أريد أن أعرفه في الحال! لقد أُبلغت من السيد نيوتن بأن المركيز يريدك أن تكوني جاهزة في الطابق الأسفل في الساعة العاشرة إلا ربعاً، وقد أرسل لك هذه الأشياء.»

وضعت المربية رزمتين على الطاولة، فأدركت أوديلا

ما قد يكون في داخلها، لذا قالت بعد أن جففت وجهها: «في الليلة الماضية يا مربيتي، جاءت زوجة والدي والفيكونت إلى هنا ليعودا بي إلى المنزل.»

أطلقت المربية صرخة ذعر، ولكن قبل أن تحاول الكلام، تابعت أوديلا: «لكن المركيز أنقذني منهما، وعادا أدراجهما خائبين.»

فسألتها المربية: «كيف عرفا بأنك موجودة هنا؟»

اعتقدت أوديلا بأن ليس هناك متسع من الوقت لتشرح لها الأمر كله، لذا حرّكت فقط بكتفيها وكأنها تقول لها بأنها لا تدري.

فتابعت المربية تسألها: «تقولين إن المركيز أنقذك، لكن كيف عرف بأمرك؟»

ابتسمت أوديلا وقالت: «لا أريدك أن تغضبي مني، ولكنني التقيته لعدة مرات منذ عودته إلى القصر، كما وإننا الآن، سنتزوج!»

حدّقت المربية بها للحظات غير مصدقة، ثم صرخت بسعادة وفرح قائلة: «ستتزوجان! هذا ما كنت أتمناه لك، كما وان لهذا القصر أفضل مربية يمكنك أن تعتمدي عليها!»

ضحكت أوديلا مع أنها كانت أقرب إلى ذرف الدموع من السعادة التي تغمرها.

عند ذلك، أخذت المربية تساعد أوديلا على ارتداء الفستان الأبيض اللون الذي كانت قد أحضرته معها يوم هروبها من منزل والدها.

وقد كان في إحدى الرزمتين اللتين أرسلهما المركيز طرحة طويلة تصل إلى قدميها ذات حجاب رقيق، وتاج من ألماس رصّع على شكل باقة من الزهر لتضعه على رأسها.

وبعدما انتهت المربية من مساعدتها على ارتداء كل ذلك، قالت لها بإعجاب: «لن تبدي أكثر جمالاً لو أنك كنت ذاهبة إلى قصر باكنغهام!»

أجابت أوديلا: «لكن الأهم عندي، هو أن أكون مع المركيز أكثر من أن أكون مع الملكة! آه يا مربيتي، هل تعتقدين بأنني سأبدو جميلة بما فيه الكفاية؟»

كانت تفكر بالسيدة بيتون التي استضافها المركيز عندما طرحت على مربيتها هذا السؤال.

فأجابت المربية: «إنك جميلة تماماً كالمرحومة والدتك، ولقد كانت أجمل امرأة رأتها عيناي، ولا يمكنني أن أضيف شيئاً أكثر من ذلك!»

ابتسمت أوديلا وقالت: «وهذا ما أرغب في أن اسمعه.»

ثم قبلت المربية التي قالت لها قبل أن تخرج: «ادعو لك بالتوفيق وأن تبقي سعيدة طول العمر كما أراك الآن.»

فقالت أوديلا بثقة: «سأكون كذلك!» وكانت تشعر في هذه اللحظات، وكأنها تملك جناحي الطير ترفرف بها بسعادة وهي تطير إلى الحبيب الذي سيصبح بعد قليل من الوقت زوجها.

وعندما وصلت إلى الطابق الأرضي، مشت في الممر الذي يؤدي إلى القاعة وهي متأكدة بأنها ستجد المركيز بانتظارها، وعندما وقع نظره عليها، شعر بأنها هي كل شيء في حياته والهدف الذي كان دوماً يسعى إليه، ففي حياته المليئة بالتجارب لم يعجب أو يحب امرأة كما هي الحال مع أوديلا.

لم يكن جمالها هو الذي جذبه إليها، ولا لقاءها وصفاءها، بل لأن غريزته أنبأته ساعة وقعت عيناه عليها

بأنها هي من كان يبحث عنها طوال الوقت، المرأة التي تتمتع مثله بغريزة لا تخطىء.

* * *

أمسك المركيز بيد عروسته أوديلا إلى صالة من صالات القصر حيث كان رجل الدين ينتظرهما ليعقد قرانهما مع بعض الشهود، وفكّر بينما كانا يمشيان معاً، بأن هذا هو النوع من الزواج الذي كان دوماً يريده، وبالرغم من هواجسه من أن شيئاً من ذلك لن يحصل معه.

كما أنه الآن وبعد أن تحقق حلمه، يؤكد بأنه وأوديلا لن ينسيا هذا الاحتفال طوال حياتهما، لأنه لا يوجد فيه ما يسمى بالأصدقاء لينتقدوا على هواهم، أو ليحسدوا، أو لأن يفسدوا على أوديلا ذلك الاحتفال.

شعر بأنها متوترة بعض الشيء، قال بينه وبين نفسه واعداً: سأحميها وسأجعلها سعيدة حتى آخر أيام حياتها، ولن أسمح لأحد أن يخيفها بعد الآن.

كان يدرك أيضاً، أن ولا امرأة ممن عرفهن قد تكون بشجاعة أوديلا حين كانا بين يدي فريد كوتر، ولا امرأة أخرى قد تملك تلك الجرأة لتهرب من زوجة والدها، أو أن تكون بهذا الذكاء وتتوجه رأساً إلى مربيتها تطلب منها الحماية.

وعاد يقول بينه وبين نفسه: إنها نادرة! لذا يحتم علي أن لا أخيب آمالها بي.

* * *

ابتعد المركيز ومركيزة ترانكومب أي أوديلا عن شلفورد

هول بعد أن التقيا بمن فيه، وكانت العربة التي تجرها أربعة جياد أقوياء ويقودها المركيز بنفسه، تنهب الأرض نهباً وكأنها تريد أن تهرب من خطر ما.

أما المركيزة أوديلا، لم يغب عن ذهنها ملامح وجه زوجة والدها من الذهول والإحباط. ثم وبعد أن ابتعدت العربة بهما مسافة كبيرة، قالت أوديلا: «هل إننا حقاً تمكنا من الهرب؟»

أجابها المركيز بنبرة المنتصر: «لقد تمكنا!» لقد أدرك هو أيضاً بأن خبر زواجهما كان بمثابة هبوب رياح باردة على الكونتيسة التي لم تكن تنتظر من المركيز سوى أن يعيد أوديلا إلى منزلها لا أن يتزوجها، فغدت شاحبة اللون من شدة غضبها وتوترها.

لقد كان ثلاثتهم الإيرل، الكونتيسة، والفيكونت ينتظرون قدوم المركيز وأوديلا الميمون. وكان الإيرل أول من تقدّم ليرحب به قائلاً للمركيز: «شكراً لك يا سيدي لأنك أعدت لي ابنتي، فلقد كنت في غاية القلق عليها.»

وصافح المركيز بحرارة، ثم تقدمت أوديلا من والدها لتقبله بشوق قائلة: «لقد كنت في أمان يا والدي مع مربيتي.»

أجابها والدها: «لقد عرفت ذلك الآن يا عزيزتي، لكن زوجتي كانت منزعجة جداً يوم اختفائك عن المنزل.»

فقالت أوديلا: «هذا أمر لن يتكرّر أبداً بعد اليوم.»

تدخل المركيز قائلاً قبل أن يتمكن أحد غيره من الكلام: «هذا صحيح، كما وإنني متأكد بأنك ستهنئني عندما تعرف بأن أوديلا وأنا قد تزوجنا، وبأننا في غاية السعادة!»

خيّم صمت مفاجيء للحظات قليلة، وقبل أن يتمكن الإيرل من الكلام ليقول بأنه سعيد جداً لهذا الخبر المفرح، صرخت الكونتيسة بحدة قائلة: «هذا غير صحيح! أنا لا أصدق ذلك!»

أجاب المركيز ببرود: «هذا صحيح وصحيح جداً! لأنني عندما لاحظت الليلة الماضية بأنني لا أستطيع أن أخسر أوديلا ولا ليوم واحد ولا لساعة واحدة، قرّرت أن أتزوجها هذا الصباح.»

أجابت الكونتيسة بحدة: «هذا زواج غير شرعي!»

فقال المركيز بهدوء: «أعتقد أنك ستجدين صعوبة في إثبات ذلك!»

تدخل عند ذلك الإيرل وقال: «إذا كانت ابنتي سعيدة، فهذا هو الأهم! كما وبالطبع أشعر بالسعادة من صهر يعيش قريباً من منزلي!»

ابتسمت أوديلا وقالت: «إنني سعيدة جداً يا والدي!»

غيّر المركيز دفة الحديث ليشرح لهم بأنهما كانا على عجلة من أمرهما ليتمكنا من الوصول إلى أحد منازله الذي يبعد مسافة كبيرة عن هنا، وأدرك بأنهم قد يتفهمون الأمر لو أنهما غادرا بسرعة.

لم يتفوّه الفيكونت بأية كلمة، كما أن أوديلا لم تحاول أن تتكلم معه، ولقد شعرت في قرارة نفسها، بأن ثقلاً قد أزيح عن كاهله بعدم زواجه منها، بالرغم من أنه سيخسر أموالها.

والآن وبعد أن أصبحت مع المركيز بمفردهما، تذكرت أنها لم تذكر له شيئاً عن ثروتها تلك. وقالت بينها وبين نفسها بعد ذلك، ان الأمر ليس بهذه الأهمية.

لقد كانت متأكدة بأنه سيجد طرقاً عديدة لها لكي تنفق ثروتها على أشياء منطقية، مثل إنشاء المدارس والمستشفيات، وعلى مساعدة من هم بحاجة ماسة للمال.

عادت تفكر بينها وبين نفسها: إنه شخصياً، ثري للغاية وثروتها لن تغير ما في الأمر بطريقة أو بأخرى، لذا فلماذا نضيع الوقت ونتباحث في مثل هذا الموضوع؟

اقتربت منه أكثر وقالت: «أحبك!»

ابتسم المركيز وقال: «كما إنني أحبك أيتها الجميلة، ومتى أصبحنا في المنزل، سأخبرك أكثر كم أحبك.»

توسلت أوديلا قائلة: «أخبرني... أخبرني الآن!»

فهتفت المركيز: «أحبك! أحبك! أقدّرك!»

لمعت عيناها بسعادة عندما إنهال عليها بهذه الكلمات الرقيقة، فهكذا تريد أن يبدأ حبهما وأن ينتهي.

نظر المركيز بسرعة إلى عينيها بنظرات ملؤها المحبة والهيام ثم قال: «لقد تخطينا أمراً عصيباً آخر، والآن أيتها الحسناء النائمة، يجب أن أجعلك تستيقظين بتلك الطريقة التي ايقظ بها الأمير حسناءه النائمة!»

أجابت أوديلا: «هذا... هذا ما أريده. آه يا حبيبي، ويا زوجي الحبيب، لكم أنت رائع، وأجد صعوبة من أن أصدق أنك حقيقة زوجي!»

فقال المركيز: «إذا تابعت تقولين مثل هذا الكلام، فسوف انسى نفسي، وستصطدم بنا العربة بإحدى هذه الأشجار الضخمة.»

ضحكت أوديلا وقالت: «ما من أحد يمكنه أن يقود العربة كما تقودها أنت.»

www.rewity.com/vb

«هذا ما أريدك أن تفكري به، كما أريدك أن تعتقدي دائماً بأنني رائع وتحافظي على قولك هذا، لكن ليس في مثل هذا الوقت حيث انني منشغل برسن العربة!»

ضحكت أوديلا من جديد وهمست بصوت يصعب أن يسمعه أحد: «أحبك... أحبك!»

وأدركت بأن هذه هي الحياة الحقيقية عندما يجتمع شخصان باسم الحب والزواج، إنها المغامرة التي كانت تحلم بها دائماً، وبعد أن تحقق لها هذا الحلم الرائع، لم تعد خائفة أبداً.

تـــمـــت

وداعاً للخوف

عادت السيدة اوديلا من فلورنسا حيث كانت في احدى مدارسها... وسمعت صدفة، بأن زوجة والدها كونتيسة شلفورد، تقول لصديقها الفيكونت مور، بأن عليه أن يتزوج من اوديلا لأجل ثروتها.

ولكنها قررت ان تهرب إلى البلدة حيث تعمل مربيتها السابقة، والتي طردتها زوجة والدها عندما كانت اوديلا تتعلم في الخارج.

فسعدت اوديلا بمكوثها في مثل هذا القصر التاريخي وهي تأمل ان لا يعرف احد بوجودها هناك.

www.rewity.com

لبنان: ٣٠٠٠ ل.ل - سوريا: ٦٠ ل.س - الكويت: ٧٥٠ فلس - البحرين: ١ دينار - قطر: ١٠ دراهم - السعودية: ١٠ ريالات - الامارات: ١٠ دراهم - الاردن: ١ دينار - مصر: ٤ جنيه - المغرب: ٨ درهم مغربي.